

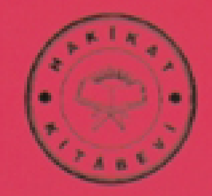
مدير المدرسة العربية الإسلامية وشيخ الحديث بها

ويليه

كشف الشبهة عن الجماعة التبليغية

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

مكتبة الحقيقة



HAKİKAT KİTABEVİ
Darüşşefeka Cad. 57 P.K.: 35 34083
Tel: 0212 523 45 56 Fax: 0212 523 36 93
http://www.hakikatkitabevi.com
e-mail: info@hakikatkitabevi.com
Fatih-ISTANBUL
2005

الأُسْتَاذُ الْمَوْدُودِي

وَشَيْءٌ

مِنْ حَيَاتِهِ وَأَفْكَارِهِ

محمد يوسف البنوري

مدير المدرسة العربية الإسلامية وشيخ الحديث بها

ويليه

كَشْفُ الشُّبُهَةِ عَنِ الْجَمَاعَةِ التَّبْلِيغِيَّةِ

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

مكتبة الحقيقة



يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول–تركيا

هجري قمري	هجري شمسي	ميلادي
١٤٣٢	١٣٨٩	٢٠١١

من اراد ان يطبع هذه الرسالة وحدها او يترجمها إلى لغة اخرى فله من الله الاجر الجزيل ومنا الشكر الجميل وكذلك جميع كتبنا كل مسلم مأذون بطبعها بشرط جودة الورق والتصحيح

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**) وقال ايضا (**خذوا العلم من افواه الرجال**)

ومن لم تتيسّر له صحبة الصالحين وجب له ان يذكّر كتبا من تأليفات عالم صالح وصاحب إخلاص مثل الإمام الرباني المجدد للألف الثاني الحنفي والسيد عبد الحكيم الارواسي الشافعي واحمد التيجاني المالكي ويتعلم الدين من هذه الكتب ويسعى نشر كتب أهل السنة بين الناس ومن لم يكن صاحب العلم أو العمل أو الإخلاص ويدعي أنه من العلماء الحق وهو من الكاذبين من علماء السوء واعلم انّ علماء أهل السنة هم المحافظون الدين الإسلامي وأمّا علماء السوء هم جنود الشياطين[١]

(١) لاخير في تعلّم علم مالم يكن بقصد العمل به مع الإخلاص (الحديقة الندية ج ١ ص ٣٦٦، ٣٦٧ والمكتوب ٣٦، ٤٠، ٥٩ من المجلّد الأوّل من المكتوبات للإمام الرّبّاني المجدّد للألف الثاني قدّس سرّه)

تنبيه إنّ كلاّ من دعاة المسيحية يسعون إلى نشر المسيحية والصهاينة اليهود يسعون إلى نشر الادعاءات الباطلة لحاخاماتها وكهنتها ودار النشر – **الحقيقة** – في استانبول يسعى إلى نشر الدين الاسلامي وإعلائه اما الماسونيون ففي سعي لإمحاء وازالة الاديان جميعا فاللبيب المنصف المتصف بالعلم والادراك يعي ويفهم الحقيقة ويسعى لتحقيق ما هو حق من بين هذه الحقائق ويكون سببا في إنالة الناس كافة السعادة الابدية وما من خدمة اجلّ من هذه الخدمة اسديت إلى البشريّة

Baskı: İhlâs Gazetecilik AŞ
29 Ekim Cad No 23 Yenibosna-İSTANBUL
Tel 0212454 30 00

تقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

بدأت حركات سياسية ودينية في نصف هذا القرن الغابر في آخر عهد الدولة البريطانية ما أصبح وسيلة لطي بساطها عن الهند المتحدة الغير المنقسمة، واشرأبت أنظار وتوجهت أفكار إلى إنشاء حكومة إسلامية في البلاد، وإزالة ما أحدثته تلك الحكومة الغاشمة، وإبادة آثارها المشئومة، وأن يحدث بدلا عنها نظام إسلامي للمسلمين يتخذ وسيلة إلى رقئ المجتمع البشري وإلى نهضة المسلمين إلى نظام صالح دينا وسياسة شعبا وحكومة. ففي مثل هذه الظروف بدأ على بسيط الهند حركة الأستاذ أبي الأعلى المودودي وتشكيل جماعته الإسلامية بإدعائه بذل الجهود لإنشاء حكومة صالحة ونظام صالح باسم ''تجديد الدين وإحيائه،، بأسماء حسنة جلبت الأنظار والأفكار، وسرعان أن لبى الشعب دعوته حيث زعموا فيها شفاء تلك الغلة وملأ لذلك الفراغ الملموس، وأخذوا يثنون على ندائه ودعوته، فأخذ يتقدم إلى الأمام في تقدير وثناء من بعض الأكابر وتأييد من بعض وشركة طائفة معه، فترعرعت الحركة وتقوت وتقدمت وتضلعت. ولكن بالأسف ظهر من قلمه ما نبه أرباب الفراسة الإيمانية، وأحسوا بنور قلوبهم الثاقب خطرات في أفكاره من زيغ وانحراف وطعن على السلف من أقدم العصور إلى اليوم كما يتفوه به ملاحدة العصر في كل عهد بأن الإسلام فشل في إرقاء المجتمع بسوء عمل القائمين به، ولم تكن تلك الأيام المباركة إلا سنوات قليلة معدودة، وكان حظها ضئيلا، فيا سبحان الله دين أعلن الله سبحانه وتعالى أن يظهره على الأديان كلها، وأنه يحفظه إلى قيام

الساعة، ونادى سيدنا الرسول عليه صلوات الله وسلامه بأنه «لا تزال طائفة إلى قيام الساعة قائمة بالحق، وإن أمته خير أمة، وإنه لا تجتمع على الضلالة، ومثل الأمة كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره، وإنه يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وما إلى ذلك مما دل عليه من آيات بينات، وأقوال من سيد البشر صلى الله عليه وسلم ساطعات لامعات تدل على بقاء الخير في الأمة في كل جيل، فمن يرفع صوته بضد هذا يكذب الله ورسوله، فهل مثل المودودي هو الذي يبعثه من جديد ويقوم بما لم تقم به الأمة سلفا وخلفا، فيا للعجب!

فتنبه لمثل هذه الدعاوي العريضة أفذاذ من الأكابر وأزعجهم من بعد ما أحسنوا الظن، وقاموا للذب عن الدين والقضاء على هذه الفكرة الخاطئة التي تدع الديار بلاقع، فمن هؤلاء الأكابر: حضرة المحدث بركة العصر مولانا الشيخ محمد زكريا الكاندلوي الصديقي صاحب المؤلفات البارعة في الحديث، الذي انقضت حياته في العكوف على خدمة العلم تدريسا وتأليفا، فكتب خطابا إلى بعض العلماء الذي غره سمته، وطبع هذا الخطاب ورجاني كتابة تقدمة على الخطاب، فلبيت تلك الدعوة المباركة وكتبت ما يأتي عليك بيانه، والله ولي الهداية والتوفيق.

محمد يوسف البنوري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فلا ريب أن سنة الله الأزلية قد جرت في هذه الكائنات أن كل كمال في الدنيا، أو براعة في الفن، أو حذاقة في صنعة من الصنائع الدنيوية من حدادة ونجارة، أو صياغة أو دباغة، أو حياكة ونسج أو خياطة، وما إلى ذلك من حرف الدنيا وصنائع البشر لا يتم النبوغ فيها إلا بالاستفادة من أربابها والتعلم من مهرة الفن، فما ظنك بفنون من الطب والجراحة، والهندسة والحساب، والمنطق والفلسفة وعلوم الطبيعة، مع أنها من مخترعات العقول الإنسانية والتجارب البشرية، فإذا كانت والحال هذه في الفنون التي اخترعها الإدراكات البشرية فماذا يكون حال تلك الحقائق الإلهية من علوم النبوة ومعارف الرسالة وأحكام الشريعة وعلوم القرآن والسنة التي معينها لا ينضب، وينابيعها ثرة فياضة، اتصلت سلسلتها بوحي السماء وبعالم الغيب نزل بها جبرائيل الأمين على صدر النبي الأمي الذي أصبح أعلم الأولين والآخرين، عليه صلوات الله وسلامه.

فكان الله عز وجل معلما بالوحي الرباني الذي يقصر عنه شأو العقول والإدراكات، وكان الأنبياء والمرسلون تلقوه متعلمين مستفيدين، ثم في الاستفادة والتعلم منهم يحتاج إلى القرب منهم والصحبة معهم، واستنارة القلوب بأنوار أنفاسهم القدسية وتوجهات أرواحهم الزكية، فالقرب والصحبة وتوجيه أرباب النبوة إلى قلوبهم وتعليمهم علميا وعمليا حالا وذوقا كل ذلك مؤثر في تكوين طبائعهم وإصلاح بواطنهم وظواهرهم وتزكية نفوسهم حتى يكونوا من الراسخين في العلوم، والمهتدين بأنوارهم الثاقبة.

فهؤلاء التلاميذ والطلبة المتعلمون يكونون من أصحاب الأنبياء، وأصبح لقب

الصاحب أو في تعبير لكل فضل وكمال علما ودينا، وخلقا وسيرة وسريرة فوق كل ثناء ومجد، ويكون تأثير توجه النفس أشد وأقوى، وأسد من تعبير الألفاظ وتصوير الكلمات، فيكون أصحاب النبيين خير خلفاء للنبيين وارثين لعلومهم ومعارفهم وأنوارهم وآثارهم، ومهما طالت صحبته وقويت نفسه يكون أشبههم بالأنبياء هديا وهدى، دلا وسمتا سيرة وسريرة.

وبالجملة: الاستغناء من التلقي والاستفادة لا يستقيم، والتعلم بالصحبة والقرب منهم هو الصراط المستقيم، ثم إن علوم النبوة ووراثتها خلافة للنبوة في هداية النفوس وإرشاد العباد، فتشتد عداوة إبليس اللعين القرين لكل إنسان، وما من شك أنه يلبس على المرء طريق الهداية بالضلالة ما هو معروف من عداوته وتزيينه للمرء كل ضلالة وشر، والوسوسة بتدابير دقيقة، فيصير الشر خيرا والخير شرا، والنفس المقارنة للمرء أمارة بالسوء أساس كل رذيلة من أدواء القلوب من حب الجاه وانتشار الصيت والشهرة، والإعجاب بالرأي والهوى المتبع، كما وردت الإشارة إلى أدواء النفس في حديث نبوي كريم (**إِذَا رَأَيْتَ شُحّا مُطَاعاً، وَهَوًى مُتّبَعاً، وَدُنْيَا مُؤْثرَةً، وَإِعْجَابَ كُلّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ يعني بنَفْسِكَ وَدَعِ عنك الْعَوَامّ**)، إلخ، رواه أبو داود من حديث أبي ثعلبة الخشني.

فهذه الأدواء الباطنة من معضلات أمراض النفوس تفتقر إزالتها إلى مجاهدات طويلة ورياضات شاقة، وإلي صحبة أرباب القلوب الزكية الطاهرة صحبة طويلة بإخلاص وعزيمة صادقة، وفوق كل ذلك مشيئة الله الأزلية إذا انعقدت بإصلاح تلك النفوس تتهذب وتتزكى، وإلا تاهت تلك النفوس في مهاوي الضلال، وضلت في صحراء الحيرة والحرمان، ومن طالع تاريخ البشر وبحث عن أذكياء العالم وجد أن كثيرا من فتن علمية بدت من جهة الفضلاء والعلماء خاضوا في تحقيقهم وتدقيقهم وتركوا جادة جماهير الأمة، فشذوا في أفكارهم وآرائهم وتجاوزوا الصواب، والإعجاب بالرأي أكبر فتنة للعالم في هذا العالم.

فإذا كانت الحالة هذه في العلماء المحققين أصحاب استبحار في العلوم، وأرباب ذكاء وتوقد من العقول، فكيف بالذين حرموا من التلقي من أهل الكمال ولم يجدوا من يربيهم ويرشحهم ولم يصادفوا من ينبههم ظنا منهم أنهم في استغناء بمطالعة الأسفار والزبر، وخصوصا إذا كان معهم شيء من الذكاء ومقدرة في البيان، فهؤلاء خابوا وخسروا ودخلوا في غمرات، وابتلوا بهفوات وكبوات، وأصبحوا وسيلة لإضلال العامة وأتباعهم، حيث يكون لهم براعة في الإنشاء، وإن أقلامهم ترقص في الميادين في هزة وهباب، ويكون لهم مقدرة فائقة في تحليل الأبحاث وتنقيح الأفكار، فالعلم وإن كان قاصرا بيد أن القلم يدهش الأفكار، فالعامة إذا شاهدوا لهم بعض النفائس في الأبحاث والأفكار، وقرءوا لهم ما يعجب الأنظار، أو القدرة على تحليل المشاكل بالتعبيرات أعجبوا بهم وصاروا مغرمين بآرائهم، ثم إذا صادفوا أقوالهم منافية للجماهير طعنوا الجماهير ووجهوا إليهم سهام المطاعن والملاعن، ورموهم بالغباوة والعي.

ثم لا سيما إذا قاموا أولئك لمتظاهرون بالتحقيق والبراعة في كل شيء بالطعن على الأوائل والأواخر ورميهم بقصور الإدراك والفهم، وبتقصير عقولهم عن هذه الحقائق تحزب أتباع هؤلاء لنصرهم والثناء عليهم وجلب كل خيل ورجل لتأييدهم، فيطم البلاء ويشتد الفتنة ويبلغ السَّيْلُ الزُّبَى، فيهلك التابع والمتبوع، ثم إذا انضم مع هذا كله إن كان ذلك الرجل داهية يرى ما وراء الأكمة، وأولع بحب الزعامة والرئاسة، واتخذ كتاباته وأبحاثه وسيلة للدعاية والنفوذ في كل شيء ازداد الأمر غمة، وإذن يصدق قول الله عز وجل (**لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ** * هود: ٤٣) فيا رب سترك، وهذه ومضات موجزة تنبئ الناظرين عن سحب هطالة.

ومن هذا الصنف الأخير شخصية بارزة أكبر شخصية وهو الأستاذ أبو الأعلى المودودي، برز في هذا العصر صاحب تأليفات ومقالات شرقت وغربت، وسارت بها الركبان إلى كل ناحية من أنحاء الأرض، وتغلغلت في بلاد العرب

وغرت به بلاد وعباد حيث تظاهر بمظاهر من الزعامة والإمارة وادعاء أنه الرجل الوحيد في العالم الذي وقف جهوده لإقامة دين وتجديد دين وإحياء دين وإقامة حكومة صالحة تحت ضوء القرآن والسنة، وكان أسلوب تعبيره جذابا وخلابا، وكانت جهود القوم ضد حكومة البريطانية واستيلائها على الهند، وحدثت معارك في مقاومة الشعب الهند والأمة الهندية جمعاء مع الحكومة الغاشمة الظالمة البريطانية، وكان الشعب الهندي منقسما إلى طائفتين كبيرتين سياسيتين قد ارتفع صخبهما إلى السماء، ففي مثل هذه والظروف السياسية ظهر هذه الشخصية، فمن الطبيعي أن ينال دعوته ونداءه إجابة من جهات شتى وتلبية لأفكاره السياسية في هذا البحر المتلاطم، ويا ليت لو اكتفى بهذا ولم يدخل في غمار تفسير القرآن، ومقالات في السنة، ورسائل باسم ،،التفهيمات،، و،،التنقيحات،، ورسائل في مسائل أخرى لم يكن فيه كفاءة لها، ولا رسوخ في علومها، ولا أهلية له في تلك المسائل.

وكان الملائم أن يقف جهوده في توحيد كلمة المسلمين وإيقاظهم من غفوتهم، وأن لا يزعج المسلمين في عقائدهم وأذواقهم ومسائلهم نظرا إلى أهمية الاتحاد وتوحيد الكلمة، وخوفا من التشتت والافتراق، ويا ليت لو فعل هذا لكان زعيما سياسيا مقبول الصيت ومسموع الصوت مستجاب القول ناجحا ظافرا، ويا حبذا لو كان هذا فحسب، فإن لقلمه السيال وملكته في الإنشاء باللغة الأردوية، والمقدرة الفائقة في حسن التعبير، واللباقة في صياغة الأسلوب تأثيرا في النفوس، وأخذا بمجامع القلوب، ولكن بالأسف الشديد تعرض في كتاباته إلى النقد بالسلف الصالحين من المفسرين والمحدثين والفقهاء والأئمة المجتهدين والمتكلمين من أقدم العصور إلى اليوم، وجاء في أبحاثه ما لا يستساغ دينا وعلما.

ومن بواعث الأسف أن الشيخ المودودي وصل إلى الثانوية من التعليم المدني، وتلقى مبادئ الكتب العربية في بيته، ثم دخل معهدا بحيدر آباد فيه كان مبادئ التعليم الديني مع شيء من التعليم المدني، وكان والده الكريم محاميا فترك وظيفته

وأصيب بالشلل والفالج، وبقي مريضا نحو أربع سنوات إلى أن توفاه الله عز وجل - غفر له الله ورحمه - ولكن الشيخ المودودي في حياته اضطر إلى معاشه وفي شرخ شبابه قبل إكمال الدراسة، ومن سوء الصدفة أنه اصطحب كاتبا بارعا في اللغة الأردوية وكان من كبار ملاحدة الكتاب وهو نيازفتحپوري[١] وقد تأثر إلى حد كبير من صحبته، ويقول المودودي في ما كتب في حياته ما لفظه بالأردوية:

«ڈیڑھ سال کے تجربات نے یه سبق دیا که دنیا میں عزت کے ساتھ زندگی بسر کرنے کیلئے اپنے پیروں پر آپ کھڑا ھونا ضروری ھے اور معاشی استقلال کیلئے جد وجھد کے بغیر چارہ کار نھیں، فطرت نے تحریر وانشاء کا ملکه ودیعت فرسایا تھا عام مطالعے سے اسك اور تحریك ھوئی، اسی زمانے میں جناب نیاز فتحپوری سے دوستانه تعلقات ھوئے اور اکی صحبت بھی وجه تحریك بنی غرض ان تمام وجوہ سے یه فیصله کیا که قلم ھی کو وسیلهٔ معاش قرار دینا چاھئے» انتھی [٢].

يقول: قد أثبتت التجارب في عام ونصف أن قضاء الحياة بعزة لابد لها أن يستقل المرء بكسب لمعاشه مستغنيا عن الناس، وأن يجتهد لحياة طيبة، وإن ملكة الإنشاء والمقدرة على التعبير كانت مودعة في طبيعتي، وقد قويت هذه الملكة بالمطالعات، وقد حصلت لي الصلة والصداقة بالأستاذ ''نيازفتحپوري،، وصحبته قد حثت عزمي ورغبتي، ونظرا إلى أمثال هذه الأسباب قمت بأمر فصل نهائي بأن أجعل تلك الملكة الإنشائية القلمية وسيلة لمعيشتي انتهى. فكشف الستر وصدع بما هو ينويه، فتقدم إلى الأمام ورافق أخاه السيد أبا الخير المودودي في تحرير جريدة،، مدينة،، في بجنور، ولكن الظروف السياسية قد اضطرته إلى الانعزال عنها، واتصل بإدارة ''انجمن أعانت نظر بندان إسلام،، وبإدارة جريدة ''تاج،، الأسبوعية، يقول: فكنت أكتب فيها إلى أن أصدرت إدارة ''جمعية علماء الهند،، جريدة ''مسلم،،

---

(١) وقد آل أمره إلى الخروج عن الدين، واستهزأ بالجنة والنار، واتفق علماء الإسلام على خروجه عن الإسلام لكفره الصريح، فتاب وأناب مدة ثم ارتد وأصر على كفره البواح، والعياذ بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله

(٢) مولانا مودودي (ص - ٢) اسعد گيلاني.

تحت إشراف حضرة المفتي محمد كفاية الله والشيخ مولانا أحمد سعيد الدهلوي المغفور لهما.

ويقول الشيخ المودودي: أن من سنة ١٩١٦ م إلى ١٩٢١ ميلادية قد ضاقت بي الأرض واضطررت إلى جولات في البلاد، وإلى رحلات في الأقطار وكنت في غاية الأسف على أن لم أنتهز فرصة لإكمال الدراسة و لم أكن أقدر على إزالة هذه البلايا، إلى أن أقمت بدهلى أشتغل بالكتابات في جريجة ''الجمعية،، التي تصدر تحت إشراف ''جمعية العلماء بالهند،، وكنت أختلس فرصا لإكمال دراستي وتعلم الكتب المختلفة في الأدب والمنطق والحديث والتفسير، ثم رجع الشيخ المودودي إلى ''حيدر آبد دكن،، وأراد أن يستقل بشئونه للمعاش، فاشتغل بالتأليف والتصنيف إلى أن أصدر جريدة شهرية ''ترجمان القرآن،، سنة ١٣٥٢ هـــ ١٩٣٣ م، ثم وفق لتأسيس إدارة ''دار الإسلام،، بمساعدة رفقائه الأربع وهم: مولانا الشيخ محمد منظور النعماني - وكان هو الباعث على الشيخ المودودي أولا بإقامة هذه الإدارة - والثاني: مولانا الشيخ أبو الحسن الندوي اللكنوي، والثالث: الشيخ مولانا أمين أحسن الإصلاحي، والرابع: الشيخ مسعود عالم الندوي. بمعونة أحد الأثرياء في ''بتهان كوت،، سنة ١٣٥٧ هـــ ١٩٣٨ م إلى أن أسس إدارة باسم ''جماعت إسلامي،، (الجماعة الإسلامية) سنة ١٣٦٠ هـــ ١٩٤١ م، لما ظهر بعض تآليفه ونشرت مقالاته بقلمه السيال وإنشائه البليغ أعجب به الناس وأخذوا يثنون على براعته وصياغته، وظهرت كلمات الثناء والتقدير من أمثال المحقق الفاضل الشيخ مناظر أحسن الكيلاني المغفور له، وإمام التاريخ الفاضل الشيخ السيد سليمان الندوي المغفور له، والأستاذ عبد الماجد دريابادي، وغيرهم من المشاهير، فأكب الشباب على أبحاثه واعتقدوا فضله ونبله، واشتهر صيته، ولكن سرعان ما تنبه أهل العلم وأرباب الفضل والكمال إلى مغامز من ثنايا تحريراته ومقالاته، وإلى شذوذ في آرائه وأفكاره، وتفرس أرباب القلوب الزكية والأفكار النقية إلى عواقب خطرة في

ما يقوله ويجتهد له بالتدابير.

فأول من قام بالرد على كتاباته المحقق الشيخ مناظر أحسن الكيلاني، فكتب في الرد عليه مقالة في جريدة 'صدق جديد،، التي تصدر تحت إشراف عبد الماجد دريا بادى بعنوا ''الخارجية الجديدة،، ثم تنبه صاحب جريدة ''الصدق،، فقام بالرد عليه، ثم السيد سليمان الندوي المغفور له، ثم شيخ العصر وشيخ الإسلام الشيخ السيد حسين أحمد المدني شيخ الحديث في دار العلوم بديوبند رحمه الله، واستقال اثنان عن الإمارة من أمرائه الأربع من رفقائه الأربع بعد ستة أشهر - فيما أتذكر - وهما الشيخ النعماني والشيخ أبو الحسن اللكنوي، والثالث منهم انزوى بعد برهة من الدهر من بعد ما رأى شيئا ظهر من عقيدته لا يستطاع وهو الشيخ الإصلاحي، والرابع قد توفى قبل برهة من الزمان سامحه الله بفضله.

وبالجملة: كان الأساس أنه لم يتلق العلوم الشرعية من أهلها، ولم يتقن العلوم العربية من أصلها، ولم يستفد من صحبة أرباب الكمال الراسخين في العلوم، تلقى شيئا من المبادئ وتقدم إلى الأمام بذكائه ومطالعاته، وكان يختلس فرصة بين حين وآخر للتلقي، ثم كان الضغث على الإبالة وفاة والده واحتياجه إلى معيشته وقضاء أبان فتوته في جولات وأسفار، وخدمات في الجرائد والمجلات، فبقي في البين، وهو لا يجيد اللغة الإنجليزية كتابة وقراءة وخطابة إلا فهما بمطالعته حيث لم تتم الدراسة، وكل ما ترجم من تآليفه إنما هو ترجمة من الآخرين كما هو لا يجيد اللغة العربية لا خطابة ولا كتابة ولا قراءة ما عدا فهم، وكل ما ظهر من تآليفه بالعربية فهو مترجم من الأردوية بقلم الشيخ مسعود عالم الندوي وتلاميذه، وكل رسائله بالعربية من هذا القبيل وإن كان مكتوبا عليها ''تأليف المودودي،، دعاية وادعاء، وظن القوم وخصوصا علماء بلاد العرب والسعودية أنه نفسه ألفه بالعربية الفصحي بالأسلوب الأدبي الرائع المتين، وأنى لهم التناوش من مكان بعيد، ومرة في دمشق ألقى مقالته في اللغة الأردوية، وأمروا الأستاذ أبا الحسن الندوي بترجمته إلى العربية.

هذه نبذة يسيرة من حياته، وهو زعيم سياسي قبل كل شيء، كاتب قدير باللغة الأردوية، له قلم سيال استفاد كثيرا من مشاهير أهل الإنشاء والكتابة وأسلوبه في الإنشاء كان متأثرا من أولئك الأدباء أرباب الأقلام أول مره، ثم انتهى إلى أسلوب خاص جيد، وله ملكة في تجزئة الأبحاث وتحليل الأفكار، ألف عدة تأليفات احتوت أبحاثا رائعة بيد أن قلمه زاغ وطغى، فجاءت فيها أفكار زائغة قرعت الأسماع وأدهشت الأفكار، فكان في أكابر علماء الأمة شيخ العصر مولانا السيد حسين أحمد المدني أول من تفطن وتفرس العواقب الوخيمة الخطرة قبل كل أحد في آرائه الزائغة، ثم قام غير واحد من العلماء على الرد على أفكاره ومعتقداته، ولكن كانت هذه الردود لأجل عدم إجادة الأسلوب أو عدم استيفاء البحث أو اختلط فيها الحابل بالنابل فلم يتميز هناك الأهم من غير الأهم فلم تقع من العامة موضع القبول، ولكن الردود لا تزال مستمرة بين حين وآخر، وسكت أنا مدة طويلة نحو ثلث القرن وطالما تجرعنا غصصا حينما يظهر شيء من هفواته الزائغة.

و لم تمض علي ساعة واحدة في الموافقة على ما زاغ من تفكيره بيد أني آثرت السكوت لبعض المصالح الدينية حيث إن كتاباته كانت تنفع الجيل الجديد، والناشئة الحديثة التي كنت وصلت إلى الإلحاد أو كادت، وكانت أوقع شيء في كبح شكيمتهم وإلجامهم ثم من أعضاء جماعته وأركان إدارته بدت أشياء نافعة للمسلمين فعلى الرغم من عدم موافقتي مع آرائه آثرت السكوت و لم أحب أن أجرحه جرحا ينحرف الجيل الجديد ويتنفر، ولكن من عدة أعوام كانت الوجوه متجاذبة في النقد والبحث وإبداء زيغه وضلاله إلى أن طال السكوت ووصلت الحال إلى أن السكوت عن الإظهار يكون ذنبا لا يغفر وجريمة لا تنكر، وقد حان أن أنبه القوم بعد السبر والنخل لأفكاره وآرائه بما يقتضي الحق منا بإحقاق الحق وإبطال الباطل من غير مواربة ومداهنة، فإن الفريضة قد حقت على ذمة الأمة من صيانة سياج الدين عن كل إلحاد وتحريف، والمسؤولية على أكتافها تستدعي الفراغ عن هذه الوظيفة.

ولا شك أن في تأليفاته بعض الفوائد من تسديد الجيل الجديد، وإن تحرير المقاصد بأسلوبه المؤثر كان نافعا من هذه الناحية، بيد أن البلية قد طمت، والأمر قد تفاقم، واتسع الخرق، وأدركنا أن الإثم أكبر من النفع، والضرر أشد من الفائدة، والشر أغلب من الخير، وكم كنت أتمنى أن يقوم بهذا الأمر من هو أحق به وأهله، ومن عرفه الناس وسارت بفضله الركبان، وتآليفه قد شرقت وغربت، ويكون قيام مثله للذب عن الدين أنفع وأنجع وقدما قيل في المثل السائر: أعط القوس باريها، وهما رجلان أعلم الناس بدخائله، وأقرب لتلبية القوم على ندائهما، فالمسؤولية على أكتافهما كان أكثر من كل أحد، وبكل الأسف أقول: قد انتظرت قيامهما برهة من الدهر طويلة ولكن خاب الرجاء وانقطع الأمل وحق لي أن أتمثل بأبيات صحابي جليل:

خَلِيلَيَّ غُضَّا ساعةً وتَهَجَّرا * ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا

ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم تكنْ لهُ * بوادرُ تحمي صفوهُ أنْ يكدَّرَا

ولا خَير في جَهْلٍ إذا لم يكنْ لهُ * حليمٌ إذا ما أورَدَ الأمرَ أصدرا

فاضطررنا إلى القيام بهذا الأمر، وتحتم علينا هذا الفرض، حيث إن محبة الإيمان وما يقتضيه الإيمان أشد وأقوى من كل محبة، ومن محبة رجل أرداه قلمه وتفكيره في مهاو بعيدة عن الحق، والذب عن الدين أعنى وأهم من كل شيء، والكلام كان شاقا علي، والحديث عن النقد عليه كان عزيزا علي، وأنا أدري أني عسى أن يكون نفسي ذريئة للمطاعن، وهدفا لكل ملام وغرضا للسهام، ولا سيما من الذين غرهم سمته، ويظنون أن شخصية المودودي شخصية فذة قام بخدمة لا تبارى ولا تجارى، مثل أعضاء ''رابطة العالم الإسلامي،، ومشايخ نجد والرياض بالمملكة العربية السعودية، وكثير من الناس في البلاد العربية أصبحوا مغرمين به حبا للإسلام وخدمته.

وأنا أدري أن علماء المملكة العربية السعودية لو علموا ما في تأليفاته

بالأردوية من الطامات، والبعد عن الحق، والطعن على الصحابة، والحط عن الخليفة الراشد سيدنا عثمان، والتحريف في مصطلحات الشريعة وآيات القرآن، والازدراء بالسلف الصالحين من الأولين والآخرين، لو عرفوا ذلك لكانوا أول الناس براءة من إجلاله وتوقيره، وأول الناس إنكارا على عقائده حيث عرفناهم منقادين للحق بكل صراحة من غير مراوغة ومواربة، وأشد الناس شكيمة عن كبح جماح الضلال والزيغ، وأعمل الناس بالسنة، وأترك الناس للمنكرات والبدع، وأنا أدري أنه غرهم سمته، وحسبوا بادعائه ودعايته أنه الرجل الوحيد في باكستان الداعي إلى إحياء الدين وتجديده، وأنه القائم بالجهود إلى إقامة حكومة صالحة في باكستان، وأنه الرجل المظلوم في هذه البلاد، قاس آلاما للدين، وله مفاخر لا يدانيه فيها أحد، ولا خبرة لهؤلاء بما في رسائله من طامات وخرافات حيث لم تترجم هذه الأشياء إلى العربية ولم تصل إليهم، وإنما ترجم من كتبه وأبحاثه ما جعله مقربا لديهم ومحترما عندهم، كما أنه ليس لهم علم بما في باطنه من حب الزعامة والرئاسة وما في طبيعته من الكبر، والغيب لا يعلمه إلا الله، ويوشك أن لو علموا لتبرأوا كل البراءة كما جربنا من سجاياهم الفطرية الجنوح إلى الحق في معرض الخصام والرغبة إلى الصواب.

وكم رأينا رجالا كانوا مقربين لديهم بعلومهم وبأقلامهم ثم لما ظهر منهم بعدهم عن الصواب وغلوهم في بعض الأمور، وخروجهم عن الجادة القويمة تبرأوا منهم فجزاهم الله خيرا، وذلك مثل القصيمي صاحب ''الصراع،، والناصر الألباني مدرس جامعة المدينة.

فالمرجو منهم أن يعودوا نظرة في المودودي، ويفكروا في تلك الآراء الطائشة الخارجة عن الدين، والله يقول احلق ويهدي السبيل، والله يشهد أني قمت بهذا الأمر ابتغاء لوجه الله تعالى بتوفيقه لا حبا للثناء والتقدير، ولا خوفا من الملام والازدراء والتحقير، وأتمثل بقول سيدنا خبيب رضي الله عنه:

وذلك في ذات الإله وإن يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

وكما قال أبو العلاء المعري في لزوم ما لا يلزم:

ونرجو من الله الثواب مجازيا * وله علينا في القديم تسلف

وفضيلة المحدث الكبير مولانا الشيخ محمد زكريا الملقب بشيخ الحديث قبل أكثر من عشرين سنة كتب خطابا إلى بعض علماء مدرسته وهو الشيخ محمد زكريا القدوسي لما جنح إلى آراء الشيخ المودودي وتأثر بأفكاره، كتب إليه كتابا ينبهه على زيغ وضلال نصيحة له وإرشادا، وقد ألف أيضا جزءا مستقلا جمع فيه آراءه البعيدة عن الصواب، وبالأسف أنه لم يطبع وطبع هذا الخطاب بالأردوية وقد ترجمه إلى اللغة العربية مع تخريج أحاديثه أخونا في الله فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرزاق إسكندر الهزاروي الباكستاني، فنقدم إلى الأمة هذا الخطاب المطبوع المترجم المشير إلى شيء من أفكاره وما ينتج من زيغ وضلال، والكتاب بين أيدي الناظرين أمام القارئين لا حاجة إلى نقل شيء منه، وإنما أقدم للناظرين عدة نماذج من زيغه المبين، وقد دعت الحال إلى أن أنادي على رؤوس الأشهاد أن الرجل ذائغ، ضال، مضل، في كتبه ورسائله طامات، منها: ما يوجب الفسق، ومنها: ما يوجب الابتداع في الدين، ومنها: ما يوجب الإلحاد، ومنها: ما يوجب ما أسكت عنه، وفي بعضها دلالة على جهله بالدين وغباوته على اليقين، وتضارب وتهافت في بياناته وكتاباته، وتجهيل للسلف الصالحين من أقدم العصور إلى يومنا هذا، فهذا الحط عن جهود السلف الصالحين والمؤاخذة عليهم يدل على إعجاب في رأيه ما لا يتحمل، وكبر له في سجيته ما لا يستساغ، وسنفرد كتابا خاصا في الموضوع جامعا لأفكاره الزائغة بكل تفصيل، وهذه التقدمة لا تحتمل غير عدة نماذج، إن أريد إلا الإصلاح ما استعطت، وما توفيقي إلا الله، عليه توكلت وإليه أنيب.

شيء من أفكاره

الله، والرب، والعبادة، والدين في نظره

١- يقول المودودي في مقدمة كتابه ''قرآن كى چار بنيادي اصطلاحين،، - *أي أربعة مصطلحات القرآن الأساسية*- ما ترجمته إلى العربية: ***الإله، والرب، والعبادة، والدين***، *أربعة مصطلحات أساسية للقرآن، ومن عرفها عرف القرآن ومن لم يعرفها لم يعرف القرآن، ولم يعرف التوحيد، ولم يعرف الشرك ولم يعرف أن العبادة لله وحده، فمن خفيت عليه هذه المصطلحات خفي عليه فهم القرآن وإن كان مؤمنا، وعلى الرغم من كونه مؤمنا يكون ناقص العقيدة والعمل*[١] ثم يدعي: *وقد وقع تغير في معاني هذه المصطلحات عن فهمها في عهد النزول، وانحازت هذه المعاني الوسيعة إلى معان ضيقة محدودة مبهمة، وذلك لأمرين:*

١- لقلة ذوق العربية. ٢- ولكون المسلمين ولدوا في الإسلام، فلم يعرفوا تلك المعاني المستعملة في الكفار في عهد نزول القرآن فخفيت على أئمة اللغة وأرباب التفسير تلك المصطلحات بمعانيها المستعملة في عهد النزول، وفهم هؤلاء ما كان يفهمه المسلمون.[٢]

ثم يدعي ويقول: *والواقع أنه لخفاء هذه المعاني خفي على الناس ثلاثة أرباع الدين، بل خفيت عليهم روح الإسلام الحقيقية، ومن أجل ذلك ترى نقصا في عقائدهم وأعمالهم*[٣] فهذه ترجمة عبارته بكل أمانة وديانة. وفي ختام رسالته في (ص: ١٥٦) يقول: *إن الله سبحانه أمره صلى الله عليه وسلم في سورة النصر بأن يستغفر ربه ما صدر منه في أداء الفرائض* (أي فرائض نبوته) من تقصيرات ونقائص، ولفظه بالأردوية:

---

(١) ص: ١٠

(٢) ص: ١٢

(٣) ص: ١٤

اور اس ذات سے درخواست کروکہ سالك: اس ٢٣ سال کے زمانہ خدمت میں اپنے فرائض ادا کرنے میں جو خامیاں اور کوتاهیاں مجھ سے سرزد ہوگئی ہوں انهیں معاف فرمادے .

الانتقاد والمؤاخذة: استبان من كلامه أن اللغويين والمفسرين لم يعرفوا معاني هذه الأسماء المرادة عند الله، ولم يستثن أحدا منهم، ولا ريب أن مثل هذه الدعوى العريضة بأنه لم يفهمها أحد إلا الأستاذ المودودي، ومن العجيب المدهش أن المودودي لما أخذ يشرحها اضطر في شرحها إلى أئمة اللغة من القرون المتوسطة كابن الأثير الجزري، وابن منظور الإفريقي، والفيروزآبادي من "النهاية"، و"اللسان"، و"القاموس"، دون أن يبلغ شاؤه إلى قدماء أهل اللغة كأبي عبيدة، وأبي عبيد حنيفة الدينوري، وابن قتيبة، وغيرهم ممن بعدهم من الأزهري، والجوهري، فكيف استقام للمودودي أن يأخذ شرحها وبيانها ومعانيها الحقيقية والمجازية من هؤلاء الذين لم يعرفوا معاينها المرادة عند العرب حيث ولدوا مسلمين في بيوت المسلمين.

ومثل هذه الدعوى العريضة فتح لباب كل زيغ وضلال، يرتفع الأمان عن أرباب اللغة والمفسرين طوال هذه القرون، وفتح للتأويل في القرآن بما يفهمه العقل والإدراك كيف ما شاء دون أن يستشهد ويحتج بأئمة اللغة وأرباب التفسير، فانظر يا رعاك الله شيء لم يعرفه محمد بن جرير الطبري إلى ما بعده، ولا الجرجاني، ولا الزمخشري، ولا ابن تيمية، ولا ابن القيم، ولا ابن كثير، ولا من قبلهم ولا من بعدهم، والمودودي الذي قام بفهمه بعد هذه الفترة الطويلة من القرون الأربعة عشرة وكان هذه الفجوة البعيدة للجهل بمعانيها، ومن هذه الكلمات الأربع: الإله، والرب، والعبادة، والدين.

هل يكون جهل فاضح من هذا لم يعرفه أحد من العرب ولا من العجم من اللغويين والمفسرين والمحدثين وأرباب البلاغة وأئمة العربية من أقدم العصور إلى اليوم

وإنما فهمها رجل عجمي لا يجيد اللغة العربية لا نطقا ولا كتابة ولا يكاد يفهمها إلا بشق النفس بمعونة التراجم الأردوية، فعباد اللات والعزى عرفوا معاني الإله، والرب، والعبادة، والدين، والأمة المسلمة جمعاء مع تلقيهم علوم النبوة طبقة بعد طبقة تجهل معانيها، فهل رأيت يا سبحان الله كلاما أبعد عن العقول من هذه الدعوى؟ شيء يعرفه الكفار في جاهليتهم ولا يعرفه المسلمون في عهد الإسلام على الرغم من كونه صلى الله عليه وسلم يعلمهم الكتاب والحكمة، فكأنه لم يفهمه النبي صلى الله عليه وسلم أو لم يعلمهم، وإذا علمهم انقطع هذا الفهم إلى قرون، لماذا هذه الدعاوي العريضة الطويلة؟ نعم لحاجة في النفس ولمرض في القلب يدعي ذلك لكي يتمكن من تأويل وتحريف في معانيها، وكل ذلك تمهيد لما بثه في كتبه ورسائله من تأويلات وتحريفات يتسنى له بها ما يحاول، فجعل في كتبه العبادة كل ما في الدين من معاملات وعقود وعهود وشؤون الدنيا والإدارة ونظام الحياة كلها جعلها عبادة وهو يصرح بأن العبادة ليست منحصرة في الصلاة والزكاة والصوم والحج وليس بها نجاة ما لم تكن معها ما يدعي من بقية شؤون الحياة حتى ادعى أن هذه العبادات ليست مقاصد في الإسلام، وإنما هي وسيلة للحصول على السلطة والاقتدار على الحكومة وتأسيس دولة، فيستنتج من هذا أن الحكومة إذا حصلت انتهى الغرض من تلك الوسائل، فلا لزوم إذن لهذه العبادات الأربع خصوصا، وستعرف إن شاء الله تعالى تلك العبارات في خطاب الشيخ محمد زكريا شيخ الحديث - طالت حياته النافعة - ما ينشر قريبا وتكون هذه الكلمة تقدمة لخطابه.

فهل رأيت ضلالا وزيغا أبين من هذا، ولكن أكثر ذلك في كتبه وكتاباته كدبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء الملساء، يعبر عنها بأسلوب قلما يتنبه له أحد، ولا ريب أن العصر عصر الفتن العمياء كما جاء في حديث الصحيحين في حق رجل: (**ما أعقله وما أظرفه وما في قلبه من حبة من خردل من إيمان**) والعياذ بالله، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وإذا كان الرسول عليه الصلاة والتسليمات خاتم النبيين،

والأمة المرحومة خاتم الأمم وقد قال صلى الله عليه وسلم: (**لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**) كما رواه البخاري من حديث معاوية، وكما في حديث رواه البيهقي في بعض كتبه: (**يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله**) إلخ فهل من الممكن ن يخفى أساس الدين الإسلامي على أحد ويتمكن كل مضل مما يشاء؟ كلا ثم كلا، الدين محفوظ، وتعليمات سيدنا الرسول عليه صلوات الله وسلامه محفوظة، والحقائق الشرعية محفوظة معمولة واضحة علما وعملا لا يحول دونها ريب ولا شبهة.

والحاصل: أن هذه الأسماء إذا لم يعرف أحد معانيها غيره فله ما يشاء من تأويل وتحريف ويفتح له باب التأويل بمصراعيه، ويتمكن من تجهيل الأمة الإسلامية علمائها ومحدثيها وفقهائها قاطبة، وعسى أن يكون في هذا التنبيه مقنع وكفاية في نتيجة بحثه وتحقيقه، والله المستعان.

ثم إن من العجيب أن ما قاله في خاتمة الرسالة: إنه أمر بالاستغفار لتقصيره في فرائض النبوة، أين ذلك الذكر من التقصير وعدم القيام بالواجب، فكأنه يفهم أنه لا استغفار إلا من أجل الذنب وأنه كان مذنبا ومقصرا في أداء الوظيفة، ولا يدري المسكين أن هناك محامل لاستغفاره، فهو صلى الله عليه وسلم كان إذا سلم وفرغ من صلاته يقول: (**أستغفر الله**) فهل الصلاة كان ذنبا كان يستغفر ربه عنها؟ وبعد الخروج عن المرحاض كان يقول: (**غفرانك**) فهل كان عصا ربه فاستغفره؟ وما إلى ذلك من الأمور، أليس الله سبحانه أعلن في سورة الفتح إعلانا عاما بقوله: (**لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** * الفتح: ٢) فهكذا رفع الله سبحانه قدره وأتم عليه نعمته، واتفقت الأمة جمعاء على كون النبي معصوما، وإنما الاستغفار في أمثال هذا نظرا إلى شدة معرفته بالله ومعرفته لكبريائه تعالى وقصور حمده عن جلاله وكبريائه يستغفر للتقصير كما في حديث ''مسلم،، في دعاء السجود: (**لا أُحْصِي ثَناءً عَلَيْكَ، أنْتَ كمَا أثْنَيْتَ على نَفْسِك**) فليس هناك ذنب ولا معصية، ولا تقصير

ولا زلة، فأين التقصير في أداء فريضة النبوة؟ وأين النقص في القيام بأعباء النبوة؟ فالمودودي كأنه بالمرصاد ينتهز فرصة لما في قلبه ومعتقده أن الأنبياء كلهم خطاؤن مذنبون، وأن العصمة ليست دائمة مستمرة، فيظهر من قلمه ويقطر ما في قلبه ذلك الذي يعتقده، وإن الإناء يترشح بما فيه، وسيتضح هذه الأمور فيما سيأتي عليك بيانه.

وإنما يتفوه المودودي في كتاباته بين حين وآخر بتقصيره صلى الله عليه وسلم أو بتقصير غيره من الأنبياء ليست هذه زلة قلم وإنما هو شيء رسخ في قلبه كعقيدة، وأصبح أصلا من أصوله الموضوعة، وبمثله يكون قدحا في منصب النبوة يتزعزع به أساس الدين، فهو يعتقد أنه بشر كسائر البشر يخطئ ويصيب، يطيع ويعصي، ولا يكون هو معصوما ومن طالع كتبه ومقالاته وأبحاثه وقف على ذلك من ثناياها بثلج صدر وشفاء قلب، فهو غير معصوم، والصحابة بقي فيهم شيء من أمراض الجاهلية لم يتزكوا، فإذن يرتفع الأمان من الدين فعمن نأخذ الدين؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.

وكل يدعي وصلا بليلى * وليلى لا تقر لهم بذلك

وواحد من جماعته معروف بالعلم وهو المفتي محمد يوسف من سكان بنير من مضافاة ''سوات،، كتب إلي مرة ردا على مقالة لي نشرت في مجلة ''بينات،، بأن القرآن مملوء بأن الأنبياء كلهم عصاة مذنبون، وأنت تدعي لهم العصمة إنا لله، فيعلم من ذلك أن هؤلاء الجماعة معتقدهم ذلك ورثوه من أميرهم ورئيسهم.

أصول الإسلام تتغير عند المصلحة

٢- يقول الأستاذ المودودي ما ملخصه: *''إن أصول الإسلام قسمان: قسم لا يدخله التغير ولا التعديل كالتوحيد والرسالة، وقسم يدخله التغير إذا ما اقتضته المصالح،، ثم يمثله المودودي* بقوله: إن الله سبحانه يقول: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ** * الحجرات: ١٣) يقول: *هذا أصل من أصول الدين العدل بين الأفراد والشعوب،*

والقضاء على كل تفرقة عنصرية من النسب والقبيلة، والكرم والتفاضل بالتقوى بينه تعالى وعمل به سيدنا الرسول عليه صلوات الله وسلامه، أعلن به الرسول غير مرة، وعمل به حيث ولي العبيد والموالي مناصبا من الإمارة، واجتهد لإقامة هذا النظام ولكن سرعان ما ترك هذه القاعدة الأساسية لما حان إقامة نظام المملكة وقال: «الأئمة من قريش» هذا ترجمة عبارته التي حكاه الأستاذ محمد أشرف المحترم في مجلته ''المنبر،، ٢١ يناير ١٩٥٨ م حينما أطال النقد على هذه الفكرة الخاطئة.

ويقول المودودي: *إن العرب ما كانت تتحمل أن تكون خلافة ورئاسة لعجمي بل ما كانت تتحمل أن يسلط عليها غير قرشي، فترك العمل سيدنا الرسول بما أفاده القرآن من أصل أساسي في المساواة، ومنع أصحابه عن ذلك لأجل إقامة الدين، إلى آخر ما قل وأطال في ترجمانه تحت عنوان ''موقف الجماعة الإسلامية،،*

الانتقاد والمؤاخذة: هذه فكرة خاطئة إلى الغاية بلغت غايتها في الضلال والزيغ لا يبررها أي تأويل تغني عن القيام بالرد والنقد، وحيث إن شناعتها قد وضحت كصديع الفجر لا يحتاج إلى إقامة دليل وبرهان، فكل عبادة ودين من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج وغيرها وإن كانت مقاصد أساسية للإسلام ولكنها تتغير وتتبدل إذا اقتضته مصالح نظام المملكة ويسميه هو: ''الحكمة العملية،، تدخل في كل شيء من أصول الدين الشرعية، انظر يا رعاك الله هل رأيت ضلالا صراحا وزيغا بواحا أبين من هذا؟ والأستاذ المودودي استمسك بهذه الفكرة المخترعة في نظام ''الجماعة الإسلامية،، حينما كانت الانتخابات والترشيحات للمجلس النيابي ورئاستها لدولة باكستان، فقامت السيدة فاطمة جناح في مقاومة السيد أيوب الرئيس المرحوم لحكومة باكستان.

فقام المودودي وجماعته لتأييد السيدة فاطمة بكل ما أعطاه الله من حول وطول، وادعى أن صفات الرئاسة وخصائص الولاية كلها موفورة فيها حين أن أيوب محروم عن كلها، فهي السيدة تستحق أن تكون رئيسة للمملكة، فاعترضه

العلماء والشعب بأن المرأة ليس فيها كفاءة للرئاسة بأصول الإسلام ولا يمكن أن تكون رئيسة، فاستمسك بتلك القاعدة الأساسية التي أصبح عليها اليوم مدارا للجماعة بأن تلك الضابط من أصول الإسلام التي يلحقها التغيير والتعديل وليس مثل التوحيد والرسالة.

وطال بعقيدته هذه شغب كثير وبحوث واسعة في الجرائد والمجلات والمحافل والمؤتمرات، وارتفع صخبها إلى السماء بكل واد وناد، وقد استقال منصبه في الجماعة بهذه الفكرة الأستاذ أمين أحسن الإصلاحي سنة ١٩٥٧م الذي كان أتبع له من ظله، وهو الذي قوى أزره في الجماعة، والذي حبر وصور كثيرا من أفكاره، ودافع عنه بكل ما أمكن له، بيد أنه لم يستطع أن يبقى معه بعد هذا، ولم يمكن له أن يتجرع هذه الغصة وأن يستسيغها، ففارقه في حسرة وندامة بأنه أضاع قوته وشبابه وبراعته وهمته مع هذا الرجل الزائغ.

عصمة الأنبياء غير مستمرة

٣- قال الأستاذ المودودي: *العصمة للأنبياء ليست من لوازم ذواقم ولكن الله تعالى يحفظهم من الخطايا والزلات لأجل قيامهم بفرائض النبوة، ولو رفع الله منهم هذه الحفاظة لساعة لكانوا مثل عامة الناس في الخطأ والزلات... ومن لطيف التدبير أن الله يرفع أحيانا منهم هذه الخاصية لكي يصدر عنهم بعض الزلات، ويريد الله ذلك منهم لكي يظهر أنهم بشر وليسوا آلهة (ترجمة كلامه في التفهيمات* (ص: ٥٧) الجزء الثاني، الطبعة الثالثة)

الانتقاد والمؤاخذة: عصمة الأنبياء في أمور النبوة كلمة اتفاق بين الأمة، ورفع العصمة عنهم في بعض الأحيان في غاية الخطر حيث إن ذلك الوقت غير متعين، ففساد هذه النكتة واضح ويجر إلى مفاسد في شأن النبوة، فلقائل أن يقول: في كل شيء إنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك في ذلك الوقت الذي رفعت عصمته، فإذن يرتفع الأمان عن النبوة، والذي قاله علماء الأمة: إن النبي صلى الله

عليه وسلم تارة يجتهد فإذا أخطأ في اجتهاده نزل تنبيه من الله عز وجل على وقوع الخطأ، وإذا لم يترل الوحي علم أنه وافق الأمر الإلهي على اجتهاده وكان مصيبا فيه، فأين ذلك مما يقوله الأستاذ المودودي؟ والأستاذ المودودي يصرح بأن الأنبياء ليسوا بمحفوظين عن شر النفس، وإن داود عليه السلام كان خاطئا، وإن يونس عليه السلام وقع منه تقصير في أداء فريضة النبوة، وإن موسى عليه والسلام كان عجولا، وإن آدم عليه السلام وقع في هوة المعصية لأجل غلبة الحرص عليه، وما إلى ذلك من هفوات مبثوثة في تأليفاته وكتاباته.

ثم إن ما يقوله لإظهار أنهم بشر وليسوا بآلهة أليس يكفي أنهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق أليس يأتي عليهم الفناء والموت أن الله سبحانه حي لا يموت، فكيف إن أكلهم وشربهم والموت وما إلى ذلك من صفات البشرية أليس يدل ذلك على أنهم بشر وليسوا بآلهة وهل يفتقر إلى إظهار بشريتهم أن يذنبوا وأن يعصوا، وأن تقع منهم زلات وتقصيرات ما لهذا الفهم الخاطئ الضال!!

أصل الدين في نظره إقامة الخلافة والحكومة

٤- يقول المودودي في ''خطباته،، (ص: ٢٢٧) ما ترجمته: *إن هذه العبادات من الصلاة والصيام والزكاة والحج فرضها الله عليكم وجعلها من أركان الإسلام، شأنها ليست كعبادات المذاهب الأخرى، إذا قمتم بها فرغت ذمتكم ورضي الله بها عنكم، بل فرضت هذه العبادات إعدادا لمقصد عظيم وأمر جليل،* إلى أن قال: *وبالاختصار والتلخيص يقال:* إن الغرض أن يخرج المرء من سلطة الإنسان، ويدخل تحت سلطان الله الأحد، والجهاد هو *بذل النفس والجهد التام لهذا الغرض، والصلاة والصيام والحج والزكاة للإعداد لهذا الغرض الوحيد* انتهى.

الانتقاد والمؤاخذة: تدل هذه الفكرة على أن العبادات ليست من مقاصد الدين الإسلامي، وإنما الغرض منها هو حصول النظام الشرعي أي الخلافة الإسلامية، وشرعت هذه العبادات للحصول على السلطة والاقتدار، والمقصد من الإسلام إقامة

هذا النظام، وهذا قلب للحقائق الإسلامية والشرائع الإلهية، وخروج عن الصراط المستقيم، فالحكومة الإسلامية أو النظام الصالح وسيلة لأداء الفرائض والواجبات الشرعية، فإقامة العدل والتفرغ للعبادة إنما يحصل بهذه السلطة، فالسلطة مطلوبة لإقامة الدين وأداء العبادات؛ فالعبادة مقصودة من اكبر مقاصد الدين، والخلافة والحكومة وسيلة للحصول على هذا المقصود، والله سبحانه وتعالى يقول: (**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** * الحج: ٤١) فجعل الله سبحانه هذه العبادات غاية للحكومة والسلطة، فانظر كيف عكس الأمر وقلب فجعل المقصد وسيلة والوسيلة مقصدا، وهذا فضلا عن كونه قلب الحقائق الشرعية وسيلة لكل زيغ وضلال، فإذا حصلت السلطة وحصل المقصد فما ذا تنفع الوسيلة وأي لزوم لإبقاء الوسائل بعد حصول المقاصد؟

وبالغ في تحريراته كتاباته تأييدا لهذا الهدف المنشود ما لا يترك مجالا للتأويل، فيقول في كتاب ''روئى داد،، (أي مرآة الجماعة وأعمالها): *إن المقصد الحقيقي من الدين هو الإمارة الصالحة وصرح فيه: وليس هناك أي عمل موصل إلى رضائه تعالى بعد الغفلة عن هذا الغرض*، وذكر هناك: *وحصول هذا الغرض يتوقف على قوة اجتماعية، فمن أخل بها ارتكب جريمة عظيمة لا يمحوها الإقرار بالتوحيد وإقامة الصلاة*؛ فهكذا يدندن حول هذا الموضوع بأساليب شتى ما لا يدع مساغا للتأويل في أن الغرض من الدين هذه الأمور السياسية من نظام الحكومة، ومن دونها لا يقبل صلاة ولا صيام ولا عبادة ولا توحيد، وأرى أن أول من تنبه له فقام بالرد عليه هو الأستاذ عبد الماجد دريابادى في مجلته المعروفة ''صدق جديد،،.

ومثل هذه القواعد الأساسية للجماعة الإسلامية وحدها يكفي لأن يفتح عيون الناس وينور بصائرهم في المودودي وأفكاره، ولكن بكل أسف شديد أقول: حبك الشيء يعمي ويصم؛ (**فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** * الحج: ٤٦) صدق الله العظيم؛ فقد فرط في ما بنى عليه الإسلام من

العبادات كما أفرط في إقامة الحكومة؛ فهل مثل هذا يعبر به عن تجديد الدين، وإحياء الدين، هذا تجديد أو هدم للدين؟! وهل هذا إحياء للدين أم إماتة للدين؟! فرحم الله من أنصف و لم يتعسف.

الهدى والدين في نظر المودودي

٥- يقول في كتابه: ''سياسي كشمكش،، في الجزء الثالث (ص: ٩٣) مفسرا قوله: (**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** * التوبة: ٣٣) يقول: المراد من الهدى في الآية: *أن يعيش المرء في الدنيا في نظام صالح للفرد، والعشيرة، والبيئة، والمعاش وتدبير الملك، والحكمة العملية في السياسة، والعلاقات العالمية الدولية، أي جميع نواحي حياة المرء كيف يعيش فيها، هذا هو الهدى الذي أرسل الله رسوله به.*

يقول: *والمراد من الدين: معناه قريب مما يعبر به اليوم ''استيت،، (STATE) بأن يدين الناس للسلطة العليا، و''دين الحق،، أن تكون هذه السلطة لله وحده دون أن يكون للغير فيها شأن، فالرسول مأمور بنظام للملكة يكون فيها الحاكم هو الله وحده*، هذه ترجمة عبارته بغاية الأمانة.

الانتقاد والمؤاخذة: غير خاف على أحد من له أدنى إلمام بالدين أن الدين عبارة عن مجموعة من العقائد الدينية، والعبادات الشرعية، والأحكام التكلفية، والأخلاق المرضية، فهناك عبادات وعقائد وأعمال وأخلاق يشملها كلمة الدين، وهذا هو الذي يصرح به القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم عليه صلوات الله وسلامه، وإليه الإشارة في قوله تعالى: (**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ** * آل عمران: ١٩) وفي قوله تعالى: (**وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً** * المائدة: ٣) فدين الإسلام جامع لسائر العقائد، والعبادات، والأحكام، والأخلاق، والمعاملات الفردية والاجتماعية والوطنية، فما يتعلق بالمسائل الاجتماعية أو الوطنية أو العالمية الدولية تدخل تحت السياسة الشرعية، فهي جزء من الدين لا أنه هو الدين كله، فتفسير الدين بالحكومة

أو الدولة وبالإنجليزية: ''استيت،، (STATE) فحسب بدعة وضلال وخروج عن الحق وعن الصراط السوي لا يرضى به الدين ولا أرباب الدين.

وقد أسلفت فيما تقدم من النقد بأن ما قاله بأن *القوم لا يدرون معاني الإله والرب والعبادة والدين* فكل ذلك كان تمهيدا لأمثال هذه التحريفات البعيدة عن روح الدين، وهو يتفاخر ويتباهى بأمثال هذه الخرافات (**وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعا** * الكهف: ١٠٤) فإذا كان الجليل الجديد أمامهم أمثال هذه الكتابات قل لي بالله ماذا يفهمون الدين؟ بل يشجعهم أمثال ذلك على الخروج من العبادات والطاعات، وعلى الحث من إقامة دولة سياسية وحكومة دنيوية وإن كان يلبس على الناس بتسميتها حكومة صالحة، وأين الصلاح من غير التقوى والاجتناب عن الحرام والمنكرات؟ فماذا تنفع تلك الألفاظ الهائلة من إقامة الدين وتجديد الدين وإصلاح الأمة وإقامة المعروفات وترك المنكرات، أسماء فارغة ما لها من حقيقة.

وهذا يدلنا على أن الرجل سياسي داهية يجتهد أن يكون زعيما للمملكة، ولكن الزعامة في مثل شعب باكستاني متصلب في الدين لا يتم إلا باسم الدين، ولو فرضنا أن نيته صالحة وهو حاول الإصلاح ويكون هو مخلصا في نيته وطويته، يمكن أن يكون ذلك ولكنه لعدم استفادته من أهل الفضل والتقوى والعلم والدين ولعدم حصول علوم النبوة على طريقة أهلها سقط في مهاوي من الضلال والزيغ، وأصبح نهضته ثم جماعته التي تربت على هذه الأصول والقواعد وسيلة لكل إلحاد وزندقة، ومن الممكن أن ينجو هو نفسه من هذه الموبقات ولكن أتباعه المغرمين برسائله غير ممكن أن يخرجوا من هذه المخزيات المرديات حيث انتهج لهم منهجا يبلغ بهم إلى الضلال، وخط لهم خطة توصلهم إلى النار، والعياذ بالله.

قوله في بيت الله الحرام وساكنيه

٦- يقول المودودي في ''ترجمان القرآن،، (ج: ٢٨ ص: ١٧٣) طبع سنة ١٣٦٥هـ: *البقعة التي كانت استنارت بأنوارها الدنيا، وصلت اليوم إلى عهد*

الجاهلية التي كانت قبل الإسلام، فلا ترى هناك علما ولا خلقا ولا حياة إسلامية يفد إليها الناس من بلاد بعيدة آخذين في قلوبهم عقيدة إسلامية ولكن إذا ما وصلوا وشاهدوا هناك جهلا وطمعا ووقاحة وتقذرا وخلقا سيئا وسوء نظام الإدارة وحب الدنيا وانحطاط عامة الساكنين عن المروءة والإنسانية، فكل ما حسبوه وظنوا أصبح هباء منثورا، فطاح ما زعموا، ورجعوا إلى بلادهم بدل أن يزدادوا إيمانا وقد أضاعوا ما عندهم.

ويقول صراحة: إن السدانة والحجبة التي كانت من عهد سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام وبعده من عهد الجاهلية كانت بقيت وتسلطت، وجاء سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم فقضى بها في عهده ولكن تجددت هذا اليوم، فأصبحت السدانة والحجابة والحج كله وسيلة لتجارتهم وكسبهم، إلى أن قال: *فالمطوف ووكيله والسادنون كلهم حتى حكومة الحجاز كلهم لهم حظ من هذه التجارة والكسب، فأصبحت الكعبة وفريضة الحج مثل ما يقوم به الوثنيون في ''هردوار،، بالهند*

الجواب: بهذا الكلام يقول أبو الأعلى المودودي أن حكومة السعودية الوهابية ليست حكومة إسلامية وأنما هي حكومة ضالة ومضلة وإباحية، والحق: المودودي في قوله هذا صادق وموافق للواقع كما يقول العلامة محمد عبد الرحمن السلهتي في كتابه (سيف الأبرار المسلول على الفجار) إن ابن تيمية هو كبير الوهابيين وما هو شيخ الإسلام بل هو شيخ البدعة والآثام وهو أول من تكلم بجملة عقائدهم الفاسدة وفي الحقيقة هو المحدث لهذه الفرقة الضالة

نمقه الفقير إلى ربه الغني القدير

حسين حلمي بن سعيد استنبولي

٢٨ ربيع الأول سنة ١٣٩٧

١٨ مارت ١٩٧٧ الجمعة

اعتقاده في الدجال وتخطئة حضرة الرسالة في أحاديثه

يقول المودودي: *كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يظن خروج الدجال في عهده أو قريبا من عهده ولكن مضت على هذا الظن ألف سنة وثلاثمائة سنة وخمسون عاما قرون طويلة ولم يخرج الدجال فثبت أن ما ظنه صلى الله عليه وسلم لم يكن صحيحا.* ''رسائل مسائل،، (ص: ٥٧) طبعت سنة ١٣٥١هـــ، ثم زاد في الطبعة الثانية سنة ١٣٥٤هـــ: كان ظنه قبل وقته، ثم زاد في الطبعة الثالثة ١٣٦٢ هـــ: *قد مضت ألف وثلاثمائة وخمسون سنة ولم يخرج الدجال، فهذه هي الحقيقة،* وكتب أيضا في (ص: ٥٥): *كل ما روي في أحاديثه صلى الله عليه وسلم في الدجال ثبت أن كل ذلك كان رأيا وقياسا منه صلى الله عليه وسلم، وكان في ريبة من أمره، فتارة ظن أنه يخرج من خراسان، وتارة أنه يخرج من أصبهان، ومرة أنه يخرج من بين الشام والعراق، وأخرى ظن أنه ربما يكون هو ابن الصياد بالمدينة، وقال مرة ما رواه عنه فلسطيني راهب مسيحي تميم الداري (أي في ''صحيح مسلم،،*

الانتقاد والمؤاخذة: قوله هذا أما أولا: فصريح في الإنكار عن خروج الدجال مع أن عقيدة خروج الدجال ثبتت بأحاديث متواترة بلغت القطع واليقين.

وأما ثانيا: فهو صريح في تخطئة الرسول عليه صلوات الله وسلامه في قوله بأن تاريخ القرون الخالية كذب هذا الظن والجزاف.

وأما ثالثا: فإن عقيدة خروج مسيح الدجال عقيدة مقطوعة كترول المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام بل عقيدة مقطوعة توارثت في كل دين سماوي فيقول سيدنا الرسول عليه صلوات الله وسلامه فيما أخرجه البخاري في ''صحيحه،، من حديث ابن عمر مرفوعا في عدة مواضع وفيه: فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب في ذكره وقال: «ما بعث الله من نبي إلا وأنذر أمته، أنذره نوح

والنبيون من بعده، وإنه يخرج فيكم، فما خفي عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم أن ربكم ليس بأعور، وإنه أعور العين اليمنى، كأنه عينه عنبة طافية » إلخ.

انظر إلى هذا التواتر العجيب المتوارث في كل دين على لسان كل نبي؛ فعقيدة مقطوعة على لسان مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي ينذر كل نبي قومه، ثم خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم يتعوذ من فتنة المسيح طول حياته في آخر كل صلاة من الأحاديث الفعلية، ثم يأمر أصحابه بالتعوذ منه في الأحاديث القولية، ثم ثبت متواترا خروجه في جملة أشراط الساعة، فهل يتصور في العقول يقين أشد وأقوى من هذا؟ فلاحظ قول المودودي أمام تلك الحقائق الدينية بأنه صلى الله عليه وسلم كان مرتابا في أمره وكذبه الواقع بأن ظنه غير صحيح.

وأما رابعا: فخروج المسيح الدجال من جملة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة فكما أن الساعة مقطوع بها أصبحت هذه العقيدة لتواترها مقطوعة، فادعاء *إن القرون تطاولت ولم يخرج* يشبه أن يقول أحد: *إن الإخبار بقرب الساعة في النصوص كذبها التاريخ حيث مضت قرون ولم تقم الساعة*، فليس هناك أي فرق بين هذا وذاك، (**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً** * الكهف: ٥)

وأما خامسا: فالاختلاف في محل خروجه ليس الاختلاف في أمر جوهري، والقدر المشترك في تلك الروايات هو خروج المسيح الدجال سواء في خراسان أم من أصبهان مع أنها واحد ثم له جولات في البلاد، فظهوره في شام أو عراق أو بينهما أو في مكة كل ذلك ليس فيها تعارض وتضارب، وإنما يرتاب في مثل هذه الأمور من لا بصيرة له في الحديث وصنيعه.

قوله في طلقاء الصحابة وما كانوا يستحقون القيادة

٩- يقول الأستاذ المودودي في ''ترجمان القرآن،، (ص: ٣٥ و ٣٦) سنة ١٩٦٥ م و ٤٩ ما ملخصه: *إن عثمان رضي الله عنه استخدم الطلقاء في مناصب*

سامية من الحكومة والقيادة، وهؤلاء الطلقاء دخلوا في الإسلام بعد فتح مكة، وهؤلاء وإن كانوا ماهرين في سياسة غير دينية وأمور انتظامية ولكنهم ما كانوا يستحقون ذلك لأجل عدم كفاءتهم في قيادة أخلاقية، يريد أن أنفسهم لم تتزكوا بصحبة الرسول الطويلة، فكانت فيهم بقية من الجاهلية، وهو يصرح بذلك في عدة مواضع من كتابه في ''الخلافة والملوكية،، وفي كتبه ورسائله، وفي مجلته بأساليب شتى حتى في تفسيره ''تفهيم القرآن،، رمى بسهمه المهاجرين الأولين والأنصار عند صدور الزلة في غزوة أحد، وقد أشرنا إليه من قبل،

الانتقاد والمؤاخذة: يريد الأستاذ المودودي بالطلقاء الذين دخلوا في الإسلام بعد فتح مكة، ويعد فيهم معاوية، والوليد بن عقبة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن عامر، ومعاوية بن أبي سفيان كان أسلم عام الحديبية مخفيا إسلامه من أبيه، لسنا نريد خوض الغمار في مناقب هؤلاء وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى أكثرهم مناصب في حياته وما قاموا به من فتوحات إسلامية عظيمة وقد حسنوا إسلامهم وأصبحوا من المخلصين، دع كل ذلك وإن ما وفقوا للإسلام في حياته صلى الله عليه وسلم ورزقوا نعمة كبيرة من صحبته صلى الله عليه وسلم، وغزوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طائفا وحنينا وغيرهما، وولاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه مناصب شتى، فهل بعد ذلك يبقى أدنى ريبة في تزكيتهم وكمالاتهم الدينية والخلقية، ولكن الأستاذ المودودي ينقم على الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه بأنه ولاهم مناصب كبيرة وما كانوا يستحقونها لأجل الدين والتقوى وإن كانوا يستحقونها لمهارتهم في قيادة سياسية غير دينية، فكيف يفرق الأستاذ المودودي بين الدين والسياسة في عهد الخلافة الراشدة، وما من شك أن الأستاذ المودودي قد آذى الله ورسوله بهذه الشنائع والتهم و لم يلتفت إلى ما أثنى عليهم الله في كتابه والرسول في أحاديثه، ألم يقل سيدنا الرسول عليه صلوات الله وسلامه، (**الله، الله في أصحابي لا تتخذوهم من بعدي غرضا، من أحبهم فبحبي**

أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم) وما إلى ذلك مما شحن به كتب الحديث، وفي التتريل العزيز وحده مقنع وكفاية، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الأستاذ المودودي وأصوله الأساسية للجماعة الإسلامية

١٠- دستور الجماعة الإسلامية ما هو عبارة عن الضوابط الأساسية التي عليها مدار نظام الجماعة جاء فيه: ''*إن كل أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس معيارا للحق (أي لا يعرف به الحق ولا يحتج بقوله) ولا هو فوق النقد، وليس لأحد أن يستعبد أحدا ذهنيا وفكريا حيث إن الناس كلهم سواء في مرتبة واحدة وهم كلهم من خلق الله وصنعه، فكل ينقد ويحك على هذا المنوال، ويوضع في مقامه ومترلته طبقا لعياره*،،. هذه ترجمة عبارته أدينا الأمانة فيها جهد المستطاع.

وربما يحس بادي الرأي أنه قاعدة لا غبار عليها، ولكن بعد ما أمعنا النظر ودققنا البحث وطبقنا عليها بحوثه وأفكاره وما يستنتج منها في نظرياته وأفكاره وجدناها في غاية الخطر حيث يمكن أن تتخذ وسيلة لكل إلحاد في الدين وابتداع في الشرع المبين لا ينجو منه أحد، والأمة الإسلامية من أقدم العصور إلى اليوم تعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أرشد الأمة إلى التمسك بأبي بكر وعمر والاقتداء بهما، وأمر بإتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدون من بعده، بل أمر بعض النواجذ على سنتهم، وحذرنا عن نقدهم والأخذ عليهم، أو جعلهم أغراضا للنقد والرد وأهدافا للملام، إلى غير ذلك مما يعلم من مناقبهم ومفاخرهم والأمر بالاهتداء بهديهم، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما، بل قد توسع دائرة كلامه إلى سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام غير نبينا صلى الله عليه وسلم، مع أنا مأمورون بالإيمان عليهم وإنهم معصومون لا يحل لنا النقد عليهم ولا الحط عنهم، وفعلا قد صادفنا الأستاذ المودودي تعرض إلى عرض الأنبياء فلم يترك داود ولا سليمان ولا موسى ولا يونس بل انتقد سيدنا الرسول عليه صلوات

الله وسلامه بأنه أخطأ، وأنه لم يصب، ويدعي أنه قد كذب رأيه وقياسه تاريخ هذه القرون المتطاولة، وكل نبي لا بد أن يخطأ بل يعصي ويذنب، إلى غير ذلك من الطامات.

وأما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينج منه مثل سيدنا عثمان الخليفة الراشد ذي النورين، وهتك أعراضهم بحب الدنيا، والطمع والبخل، والحرص، والحسد، والبغض، فضلا عن التابعين لهم بإحسان، وعن السلف الصالحين في كل عصر وزمان، فهذه القاعدة في دستوره خطرة جدا، وهؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حملة دينه بلغوا هذا الدين طبقة بعد طبقة أمناء على الدين اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، فهؤلاء إذا جرحوا ونقدوا وأصيبوا بالطعون وأصبحوا ذريئة للخوض في أعراضهم وتلوثت الألسنة بسبهم أو شتمهم فقل لي بالله عليك كيف نطمئن بهذا الدين؟ وهم حاملوه إلى الأمة وممن نأخذ هذا الدين؟ ثم أليس في هذا تكذيب لله تبارك وتعالى؟ فالله سبحانه في التتريل يقول: (**يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُود** * الفتح: ٢٩) يقول: (**أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** * الحشر: ٨) ويقول: (**أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون** * الأعراف: ١٥٧) ويقول عز وجل: (**وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّات تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ** * التوبة: ١٠٠) ويقول الله عز وجل: (**رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ** * المائدة: ١١٩) إلى غير ذلك من آيات التتريل العزيز.

فهل الأستاذ المودودي أعلم بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الله سبحانه أعلم، بأحوالهم وهو الخالق اللطيف الخبير؟ وهل المودودي أعلم بأحوال صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بأحوالهم؟ فإذا لم يكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معيارا للحق وميزانا للدين فمن الناس بعدهم؟

وبالجملة: فكلماته في هذا الدستور توسع دائرة النقد على الناس قاطبة،

وفيهم الأنبياء ومنهم أصحاب سيد المرسلين محمد سيد البشر صلى الله عليه وسلم، وتفسيره للقرآن وتنقيحاته وتفهيماته وسائر تآليفه وكتاباته في مجلته يتجلى فيها أسلوب الانتقاد والحط من منازلهم ولكن ربما يخفيها كدبيب النمل، وربما يغلف على هذه السموم عسلا ودسما لكي يبتلع بكل سهولة ولا ينتبه لها أحد، وهذا الدستور مرآة لما في قلوبهم ولتخطيطهم الحركة، وأساس لما يبنون عليه من البناء الشامخ الباذخ، وهذا الدستور وإن غيروا وغيروا وبدلوا وبدلوا بعد المؤاخذات والانتقادات، ومع هذا فبقي هذا القدر وعرفت حاله.

ومن الواضح البين كصديع الفجر أنه صلى الله عليه وسلم بعث بتزكية هذه النفوس، وبتربيتهم علما وعملا، وتعليمهم قولا فعلا، فأصبحوا منائر للهداية والإرشاد، ونجوما في الأرض فوق نجوم السماء، وإن الله سبحانه قد أثنى عليه صلى الله عليه وسلم بأنه نجح وفاز، وأقام الحجة وأوضح المحجة، وأدى الأمانة وبلغ الرسالة، فهكذا أكمل الله سبحانه هذا الدين، وأتم على الأمة هذه النعمة وإذا كان هؤلاء تحت الانتقاد والمؤاخذات، وبقيت فيهم للجاهلية بقية، وما إلى ذلك من طعن ونقص وتقصير كما أسلفنا الإشارة. فإذن هو صلى الله عليه وسلم قصر في أداء فريضة النبوة والعياذ بالله، ولم يقم حق القيام بأعباء النبوة مع كونه أفضل الأنبياء وأفضل الرسل.

فإذن يلزم أن يقال: إن الله سبحانه قصر في الانتخاب والاصطفاء ولم يصادف النبوة من يكون فيه كفاءة، فالله تعالى إذن مقصر والرسول صلى الله عليه وسلم مقصر فضلا عن الصحابة، فانظر - وفقك الله - إلى أين تصل هذه الشناعة والقباحة؟ وفعلا الشيعة تدعي أن الصحابة كلهم ارتدوا عن الإسلام ما عدا ثلاثة أو خمسة أو سبعة على اختلاف بينهم، فإذا قيل لهم: إن الله أثنى عليهم في التتريل وذكرهم بالترضية والدرجات العلى، فيجيبون أقبح الإجابة بأن الله لم يبد له ذلك عند ذاك، ويضطرون إلى القول "بالبداء"، مثل اليهود.

ففكر في هذه العواقب هل يبقى الإسلام بعد هذا الدستور الإسلامي؟ ثم لاحظ مع هذا الدستور ما قرره بأن الأمة من أقدم العصور إلى اليوم لم تعرف الله ولا الرب ولا الدين، ويصرح الأستاذ المودودي بأنه يكفي لفهم القرآن اللغة والعقل، والمفسر للقرآن في غني عن هذه التفاسير، والأحاديث وصلت من رجال إلى رجال، ومن رواة إلى رواة، وتلاعبت بهم الآراء والأفكار والترعات، ولا يطمئن إليهم ولا إلى جرحهم وتوثيقهم، ويدعي أن مثل ''صحيح البخاري،، أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى فيه أحاديث ساقطة، وينكر وجود السماوات على ما يفهمه المسلمون وينطق بها الأحاديث، وينكر رفع الطور على رؤوس اليهود، وينكر الحور وقاصرات الطرف، ويدعي أن بنات الكفار وبنات المسلمين الذين لم يستحقوا دخول الجنة فبناتهم تكون حورا عينا تخدم أهل الجنة، وإن حديث أنس في ''الصحيح،، في بيان ما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من القوة غلط كم وكم، هكذا يرد الأحاديث الصحيحة برأيه وفهمه العليل، وكل ذلك دليل على أنه وضع أساسا في دستوره وفي كتاباته ليتحمل كل ما لا يتحمل، وليستساغ ما لا يستساغ، ومن أجل هذا الدين الإسلامي بزعمه كحركة من الحركات والنهضات كأنه ليس دين سماوي بل قام به صلى الله عليه وسلم كما يجتمع رجال لإنشاء جماعة وحركة ونهضة ويتقدمون إلى الأمام بمؤتمرات ومشاورات وموادعات، هذا هو الذي يدعو إليه هذا الأستاذ المودودي في دستوره وضوابطه وقواعده الأساسية، وعلى ضوئها ما ألفه من كتب ورسائل.

والحاصل: أن دستوره في غاية الخطر، ونتائجها خطرة جدا باسم الإسلام والدين ينخلع الرجل عن دين الإسلام، ثم إن دين الإسلام ليس مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وإن كل دين، دين الإسلام، وإن الرسول صلى الله عليه وسلم جدده وأحياه، فإذن كل دين إذا انقاد له الرجل يكفي لنجاته يستغني عن دين محمد صلى الله عليه وسلم، وربما يكون للخبير والبصير مقنع في هذه الإيماضات

والإلماعات، وهذه قطيرات من بحر المودودي المتلاطم تياره في المجلة والتأليفات، ومن أجل ذلك قلت: وقد حان أن نسبر كل ما قاله سبرا بنصفة وديانة حتى تتم الحجة عليهم.

وفي ختام هذه المقدمة نأتي بقرار اتخذه أكابر العلماء وجهابذة الدين في حق الأستاذ المودودي وجماعته ودستورها في ٢٧ من الشوال سنة ١٣٧٠ هـ ١ أغسطس سنة ١٩٥١ م في دهلى في مكتبة ''جمعية العلماء،، وقد اتفق أكابر علماء الدين بهذا القرار.

وهذا نص القرار المترجم إلى العربية: ''إن مطالعة تآليف المودودي وحزبه ''الجماعة الإسلامية،، تجعل الناس في حرية من أتباع أئمة الدين وأن لا يبقى لهم صلة بهم، وهذا مما يهلك العامة ويضلهم ضلالا، ووسيلة لانتقاص صلة المسلمين بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين، وإن كثيرا من تحقيقاته وأفكاره الخاطئة إذا اتخذها الناس تكون وسيلة لفقه جديد، وإحداث في الدين، وبدعة في الإسلام باليقين، وهذا في غاية الضرر في الدين، فنحن نقول بكل صراحة: إن كل حركة تحوي أمورا مثل هذه خطأ ويضر المسلمين، ونعلن براءتنا عن هذه الجماعة وعن هذه الحركة.

فاتفقوا على هذا القرار في غاية المسامحة و لم يشددوا الأخذ عليه، وأعلنوا عنه في الجرائد لكي تجتنب العامة عن الانحياز إليهم، اتخذوا هذا القرار قبل ستة وعشرين عاما في أول أمره وكان لم يظهر إذن ما ظهر بعد من شدة شكيمته في الطعن على الصحابة والتابعين، ولم يظهر من قلمه ما بدا في هذه الأعوام مما ذكرنا شيئا منه ولم يكن صاحب تفسير ولا صاحب ''تجديد دين،، ولا صاحب ''خلافة وملوكية،، ما احتوى على طامات، ولو رأوا ما رأينا وبدا لهم ما بدا لنا لكان حكمهم في المودودي وجماعته أشد من هذا، ولكن هؤلاء الجهابذة تفرسوا الخطر ببصائرهم ونصحوا القوم بالاحتراز والتجنب عنه شأن الصالحين الأخيار والمتقين الأبرار،

وهؤلاء كلهم انتقلوا إلى رحمة الله غير واحد أو اثنين.

ثم على هذا القرار توقيعات كثيرة من أكابر علماء الهند وعلماء باكستان لا لزوم لنقلها، فقد كان كلمة اتفاق بين الأمة لم يختلف عنه عالم:

في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وقبل ذلك بشهور إن مركز الفتاوى في الهند ورئاسة دار الإفتاء في دار العلوم في ديوبند أصدرت الفتوى في الأستاذ المودودي وجماعته وهاك نص الفتوى مترجما إلى العربية: «يجب على المسلمين أن يجتنبوا عن «الجامعة الإسلامية» وإن المشاركة فيها سم قاتل، وعلى المسلمين أن يكفوا الناس عن المشاركة فيها لكيلا يضلوا، وضرر الجماعة أكثر من النفع، فلا يحل شرعا المساهمة فيها، وكل من أيدها وأعانها بالنشر والإشاعة يكون آثما ويكون داعيا للإثم والمعصية بدل أن يكون مثابا، ومن كان منهم إماما في مسجد فتكره الصلاة وراءه»

من هو المودودي؟

عامة أهل باكستان والجمهور يتبعون الإمام أبا حنيفة النعمان ومنهم من يخالف التقليد ويسمون بأهل الحديث وهم آلاف ألوف أيضا والمودودي لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ودأبه أن يفسر القرآن برأيه وأن يرد الأحاديث الصحيحة الثابتة التي صححها أئمة الحديث كالبخاري ومسلم برأيه فأجمع علماء باكستان على أنه ضال مضل في ما تفوه به في المسائل العلمية والأحكام الشرعية وأنه ليس من فرسان هذا المضمار وليس له مقام في الإدارات العلمية الباكستانية ومحافل علماء الشرع وفقهاء السنة وأقاويله المخصوصة لا توافق أحدا من السلف المشهود لها بالخير.

نذكر هنا أنموذجا من أقاويله:

١- قال في تفسيره تفهيم القرآن تحت قوله تعالى: (**إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ*** يونس: ٩٨) الآية.

ما ترجمته بالعربية هذا:

"كشف العذاب كان لعدم إتمام الحجة عليهم لأن يونس قصر تقصيرات في تبليغ رسالات الرب وكان قاصرا في أداء الفرض،، (نعوذ بالله)

٢- وذكر في تفسيره المذكور تحت قوله تعالى (**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي*** الأنعام: ٧٦) الآية.

ما معناه *فإن قيل هل صار إبراهيم عليه السلام مشركا بهذا القول؟ قلت أن هذه المنازل الشركية لابد منها لطالب الحق قبل الوصول إلى التوحيد ولا عبرة لها والعبرة للخواتيم.*

قوله هذا مخالف لما أجمع عليه أئمة الحديث والتفسير والفقه والعقائد من أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من المعاصي وليس فيه شيء من اختلاف وأن الأمة أجمعت على أنهم معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها.

٣- قال في جريدته ترجمان القرآن شهر الربيع الثاني ١٣٧٦ هجري صفحة ١٣/١٤ ما معناه: *يحل للأمير أن يبدل الأحكام الشرعية لحكمة ومصلحة دينية،،*

وتشبث بأن *النبي صلى الله عليه وسلم بدل الحكم الشرعي العام وهو إن أكرمكم عند الله أتقاكم بقوله «الأئمة من قريش» وفتح به أبواب الفتن.*

٤- قال في تفسيره المذكور تحت قوله تعالى (**بَل رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ** * النساء: ١٥٨) أن *القرآن ساكت عن رفع عيسى إلى السماء حيا.*

٥- قال المودودي في كتابه تفهيمات المجلد الثاني ص٢٨١ ما معناه في العربية: *إن إقامة الحد الشرعي على الزاني ظلم، إذا أشتد اختلاط النساء بالرجال في الطرق والمجمع والمدارس وغيرها وهان أمر الزنا وكذا حد السرقة* (نعوذ بالله)

٦- قال المودودي للمرأة *إمارة المسلمين وإن تؤمر،* أعان به غير مرة وهو يخالف القرآن والحديث والإجماع كما لا يخفى

٧- قال في كتابه المسمى (رسائل ومسائل الجزء الأول) *أن الأحاديث رويت*

من رجال إلى رجال فلا تفيد العلم إلا الظن وعبره بالظن ما معناه في أردوية الشك أي لا تفيد أنها صحيحة أم لا ولذا رد بعض أحاديث البخاري بعد أنه اعترف بصحة روايته.

٨- وكتب في كتابه (حقوق الزوجين) *وللمرأة أن تطالب الخلع من الزوج عند القاضي وللقاضي أن يقضي بالخلع من غير بينة وشهادات ومن غير تحقيق أن المرأة التي تدعي الخلع هل تدعي بسبب شرعي أم من غير وجه ما وللقاضي أن لا يطلب الشهادة على أسباب الدعوى.*

٩- ومن دجله أنه إذا رأى العلماء الكرام أهل الحق يخالفون مسلكه ترك مثل هذه العبارات في الطبع الثاني ولا يقول أني تائب من هذه الهفوات المتصادمة للشريعة البيضاء ونظائره كثيرة.

١٠- وعلماء باكستان والهند متفقون على أنه ضال ومضل مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة.

(أخبار الجمعية راولپندى ٢٢ فروري سنة ١٩٧٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

المعلم

العدد الحادي عشر

والثاني عشر للسنة الثالثة

ذو الحجة والمحرم ١٣٩٩ — ١٤٠٠

نوفمبر وديسمبر ١٩٧٩

المحرر:

سيد أحمد شهاب الدين

قاضي كاليكوت.

رئيس التحرير العالم الفاضل

كى. كى. أبو بكر مسليار

تصدر عن إدارة سمست كيرالا

جمعية المعلمين المركزية

الهدف

إحياء العلوم الدينية وعقائد أهل السنة والجماعة والثقافة الإسلامية والمحاسن الشرعية ونشر اللغة العربية والعربية المليبارية وبيان الطرق السهلة للتعليم والمناهج الحسنة للمعلمين والمعاهد الدينية والمدارس والكليات.

حمدا لمن وفقنا لإحياء العلوم الدينية وشكرا لمن هدانا إلى عقائد أهل السنة والجماعة ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السالكين لنهجه القويم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما

بعد: فيا معشر المعلمين اسعوا إلى طاعة الله ومرضاته وإلى إشاعة العلوم الدينية وإلى الدعوة إلى الصراط المستقيم فإنه اندرست معالم الدين القويم واضمحلت آثار السلف الصالحين فلا تضيعوا أوقاتكم النفيسة بالتسويف والتقصير (**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** * محمد: ٧) (**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ** * الحج: ٧٨).

كشف الشبهة عن الجماعة التبليغية

من يراع المولوى أبو أحمد تريكاربورى

بسمه تعالى شأنه نحمده على آلائه ونصلي ونسلم على أشرف رسله وآله وصحبه وتابعيهم من بعده أما بعد: ظهرت من نواحي شمال النهد فرق عديدة على رسم تجديد الدين وإحيائه وتبليغه وثقافته واتبعتها أقوام نظرا لظواهرها من غير اختبار عن عقائد أربابها ومؤسسيها ثم لما تبين لهم الأحوال غادرها العلماء الأخيار ونشروا خدعاتها ومكائدها بين الناس وهذا بين من صفحات التاريخ طويل في طي الزمان انشأ تلك الفرق واخترعها رجال أهوتهم الهواء وأضلتهم الآراء واستوردوا دلائل الشرع حسب أفكارهم الكاسدة ومالوا نحو زيغ ابن تيمية الحراني ثم محمد عبد الوهاب النجدي ولكن التبست على من ليس عنده علم بأصول الشرع ولا خبرة بفروعه فرأوا طرائقهم حقا وعقائدهم سالمة.

وأن من هذه الفرق ''الحركة الإلياسية،، الملقبة ''بالجماعة التبليغية،، اغتر بسياحتهم وأعمالهم الظاهرة ورسومهم الجاذبة قوم صالحون متدينون من غير اختبار وسبر عن عقائدهم وطريقهم الطريفة واتبعوهم في سياحتهم متمسكين برسومهم الظاهرة المنتحلة هذا ولما بدرت بذورهم في نواحي كيرالا جاهد علما سمست كيرالا جمعية العلماء في البحث عن تأليفهم وعقائدهم وعن تاريخ مؤسسها وأحواله وطريقته وتبين لهم بعد التفحص مكائدهم وعقائدهم المبتدعة الزائغة وأعلنوا وأفتوا بأن هذه الفرقة من المبتدعة الضالة الزائغة عن عقائد أهل السنة والجماعة كما أفتى بذلك علماء أهل السنة من شمال الهند وجنوبها ومن سيلان وغيرها وكفى بهم أسوة.

وها أنا أبين في هذه الرسالة عن عقائدهم الفاسدة وطريقتهم الكاسدة معولا على توفيق الباري سبحانه وتعالى ومتمسكا على قدم السلف الصالحين.

مؤسس هذه الحركة

المؤسس لهذه الحركة محمد إلياس بن المولوي إسماعيل مولده سنة ثلاث وثلاثمائة بعد الألف من الهجرية وانتقاله سنة ثلث وستين وثلاثمائة بعد الألف. كان في أول أمره يدرس في مدرسة مظاهر العلوم ثم لما يظفر في هذا السعي تصدى لتربية المريدين على طريقة المتصوفة ولم يجد على زعمه بهذا الجهد أيضا فائدة إلا التجاء العوام لأدعية الصوفية وتمائمهم وهياكلهم في الأمور الدنيوية من القضايا والتجارات والزراعة والتداوي للأمراض فغادر الطريقة والتصوف أيضا واخترع طريقة للتبليغ كما حكاه عنه جمال محمد صاحب عميد (الكلية قائد ملت) في مدارس انظر تفصيله في الجريدة اليومية جندركه بتاريخ الرابع والعشرين من شهر تموز سنة ست وسبعين بعد الألف والتسعمائة الميلادية.

وقد بين عن سبب تأسيسها أمير الجماعة التبليغية بعاصمة دهلى ورفيقه محمد إدريس الأنصاري في مقدمة رسالته (تبليغي دستور العمل) المطبوعة بمطبعة الجمال بدهلي حيث يقول: *تبين بعد التفحص والنظر العميق أن فلاح القوم وارتقاؤه لا يحصل بأربعة أصول وذلك هو المفهوم الصحيح* من قوله تعالى (**وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** * آل عمران: ١٣٩) ***أحدها*** *أن المقصود الأصلي من الإسلام تبديل النظام الباطل من أصلها،* ***الثاني*** *وذلك التبديل الأصلي لا يحصل إلا على الطريقة التي اختارها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في زمنهم،* ***الثالث*** *كل ما يعمله ويسعى له المسلمون جماعة أو انفرادا إلى هذه الآونة ليس لهذا المقصد ولا هو على طريق الأنبياء أصلا،* ***الرابع*** *فاضطر لتأسيس جماعة صالحة هي الجماعة الإسلامية على الحقيقة والمعنى الصحيح تعمل على المنهج الإسلامي مقررا ذلك نصب عينه فتصدى لهذا الأمر بعد البحث والتفحص أحد عباد الله الصالحين محمد إلياس متوكلا عليه*

تعالى وجمع من له ميل إلى العمل بالأصول الإسلامية وجذب إليه وأسس جماعة جديدة هي الجماعية التبليغية (صفحة ٢ – ٣)

انظروا في طي مقدمته أقر أولا أن ما يسعى له الأمة المحمدية إلى الآن انفراد أو اجتماعا ليس على طريق الأنبياء ولا لتبديل النظام الباطل من بين الأقوام فاضطر لتأسيس جماعة صحيحة جديدة هذا هو دعوى رفيقه الأول وأميره بالعاصمة في «قانون الجماعة التبليغة» وهذا هو الدعوى لكل من تصدى لتفريق الأمة وابتداع طريقة شاذة عن نهج أهل السنة ودأبهم كما لا يخفى على من يتتبع من مقالاتهم يقرون أولا ويدعون أن الأمة الإسلامية قد ضلت بأجمعهم وحادت عن سبيل الهدى ثم اخترعوا طريقة وأسسوا لها قوانين وقواعد للدعوة حسب آرائهم.

مثلا محمد بن عبد الوهاب النجدي الذي تصدى لدعوة الأمة إلى التوحيد الخالص واجتناب الشرك ادعى أن الأمة من ستمائة سنة ضلت بالتوسيل بالأنبياء والأولياء والاستشفاع والاستغاثة بهم وأن من توسل بالنبي أو الصالحين فقد أشرك بالله وأحل بذلك دماءهم وأموالهم واتبعه فريق من الأعراب وجاهدوا المسلمين المتوسلين البراء على هذا الدعوى كما لا يخفى على من يتتبع صفحات تاريخه وتاريخ أتباعه ثم عن قريب من الأزمان أسس أبو الأعلى المودودي جماعة باسم جماعت إسلامي وبين في سببها أنه *بعد التفحص والتنقيد خلع رقبة القلادة الإسلامية من عنقه ورمى بها لأنه إن لم يفعل كذلك يكون مصرا على الإلحاد والدهرية* – معاذ الله – *فلازمه أن الدين الحنيفي الذي ورثه عن أجداده كابرا عن كابر هو الإلحادية والدهرية كما لا يخفى ثم اخترع دينا جديدا ودخل فيها مقرا بكلمتي التوحيد معتقدا معانيها بمفهومها ولوازمهما وأعلن أنه أول المسلمين في زمنه يدعوا هذه الأمة المسلمة وغيرها إلى دينه إلخ. مختصرا (من مسلمان اور موجوده سياسى كشمكش* صفحة ١٥) وكذلك يقول محمد إلياس أن ما يعمل به هذه الأمة ليس على طريقة الأنبياء لا اجتماعا ولا انفرادا ويقول أيضا في ملفوظاته التي نقل عنه

محمد منظور نعماني «*ابتلى الأمة المحمدية في الحاضر بهذه الوبية وهي أن عباداتهم كلها رسوم فقط حتى أن المعاهد الدينية التي هي الذريعة لإصلاح المفاسد في أكثر المحال كانت رسومات لا غير* إلخ... ملفوظات صفحة ١٢. ويقول متبعه ومبلغه محمد حسن خان في مقدمة مفتاح التبليغ» *وفي هذا الزمن الذي انحط أكثر القوم في حضيضي الاستقلال الديني ويعدوا إلى الشرك والكفر والإلحاد مثل الموج الجاري أرسل الله تعالى بفضله وكرمه الشيخ محمد إلياس على سبيل المعجزة وخوراق العادة لإحياء الأمة المسلمة وإلقاء الروح الديني فيهم وأظهر الجهد الصحيح على مقتضى الحال في علاقة ميوات الواقعة في جنوب دهلى قبل أربعين من السنوات رافعا لوائه في مركزه نظام الدين* (صفحة ٧) وبالجملة يظهر من تأليفهم ومنشوراتهم أن محمد إلياس انتهض لإحياء الدين وتجديده حينما وجد الأمة المسلمة ضلت وابتليت جميعا بالشرك والإلحاد وما بقيت فيها الا رسومات باسم العبادة ومعاهد كانت رسومات فقط فالسؤال من المنصف فمن أين وجد الإسلام الصحيح؟ وكيف وجده إذا كانت الأمة في ضلالة يضح لنا مما تلى من المقالات منشأ فكرته إن شاء تعالى.

منشأ الحركة
الإلياسية ما هو؟

قد تقرر مما بينا أن هذه الفرقة كأخواتها الأشقاء ادعت أن *هذه الأمة قد ضلت وحادت عن طريق الهدى* وهذه الدعوى تخالف ما بشره الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما (**إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة**) إلخ... وهذا مما لا يمتري فيه عاقل فضلا عن فاضل.

وبعد ذلك نبحث عن طريق التأسيس لتلك الحركة يقول الفاضل الشهير أبو الحسن علي الندوي حاكيا عن باني الجماعة التبليغية «يقول السيد قد حصل لي الأمر في إقامتي في المدينة المنورة سنة ١٣٤٥هـــ ١٩٢٦ م وبشرني بأننا نمضي على يديك هذه الحرك» (محمد إلياس اوران كى ديني دعوت صفحة ٧٧) وبعد صفحة

يقول «*وبعد قفوله من هذا السفر شرع للدورة التبليغية*» ص: ٧٨ وهاتان العبارتان ترشد بأن تلك الحركة جرت على أمر الهيّ وتبشير من الله تعالى ثم يبين عن طريق هذا الأمر في ملفوظاته كما يحكي عنه زميله محمد منظور النعماني فيما يهذي ويبشر أتباعه «*الرؤيا جزأ من ست وأربعين من النبوة ويحصل الترقي للبعض من الرؤيا ما لا يحصل بالرياضات والمجاهدات لأن هذه العلوم الملقاة إليهم في الرؤيا من جزأ النبوة فكيف لا يحصل الترقي والعلم تزيد به المعرفة والمعرفة يزيد بها القرب كما لا يخفى لهذا* يقول الله تعالى (**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً** * طه: ١١٤) *وفي الحال يلقى إلى العلوم الصحيحة في الرؤيا فلهذا اجتهدوا لزيادة النوم لأميركم هذا وإذا قل النوم للحرارة أشاور الطبيب والحكيم واستعمل الزيت حسب الإرشاد في رأسي ليزيد نومي وقد انكشف لي طريقة هذه الدعوة التبليغية في الرؤيا وألقي إلي تفسير هذه الآية الكريمة أيضا في الرؤيا* (**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ** * آل عمران: ١١٠) *أظهرت للناس مثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للدعوة وفي قوله تعالى* (**أخرجت**) *إشارة إلى أن هذه الدعوة لا يتم بالتبليغ مقيما وملازما في محل أو بلدة بل يخرج ويدور بلدة بلدة ودارا دارا* (ملفوظات محمد إلياس صفحة ٥٠) تفكروا في هفواته حيث يفسر القرآن الكريم برؤياه ويدعي ويقطع بأنه يحصل له العلوم الصحيحة بالرؤيا بحيث لا يحصل بالمجاهدات والرياضات ويفصح عن معنى أخرجت بما لم يشر إليه أحد من المفسرين ويوصي المتبعين له بالجهد في ازدياد نومه إلى غير ذلك مما يشير إليه عبارته إلياس ذلك من التفسير بالرأي وقد أنذرنا الرسول عنه بقوله (**من فسر القرآن برأيه فليتبوأ معقده من النار**) رواه الترمذي وانظروا إلى تفسيره لقوله تعالى أخرجت حسب رؤياه وهذا هو مأخذه للسياحة بقوم لا يدرون اليمين عن الشمال ولا يميزون الفروض عن السنن حيث يفصح أنه لا يتم الأمر بالمعروف إلا بالخروج دارا دارا بعد ظهور الإسلام في آفاق الشرق والغرب وقد روى العلامة ابن جرير الطبري وغيره من المفسرين وكفى بهم سلفا في

ما قرره عنهم العلامة السيوطي في الدرر المنثور حيث يقول وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد في قوله تعالى (**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** * آل عمران: ١١٠) يقول لمن أنتم بين ظهرانيه كقوله (**وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** * الدخان: ٣٢) هـ صفحة ٦٤ من الجزء الثاني ثم يقول *ليس المراد من الناس في الآية العرب بل هم غير العرب لأنه تعالى أرشد عنهم بقوله* (**لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ** * الغاشية: ٢٢) (**وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ** * الأنعام: ١٠٧) *إنه تعالى قد أرادهم الهداية فلا تتفكر ولا تغتم بهم هذا - فالمخاطب بقوله* (**كنتم خير أمة**) العرب والمراد بالناس غيرهم من العجم لأنّ قوله تعالى بعد ذلك (**وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ**) قرينة على ذلك تفكروا حق التفكر هل سبق له بهذا البيان من أهل التفسير من يعتد به؟ فقد تقرر من هذا البيان أن حركته ليست مؤسسة على الكتاب والسنة بل ولا على مسلك السلف الصالحين حسبما يراه في منامه يفسر بالرؤيا ويحقق تحريكه ويرشد الناس على ذلك كل ذلك برؤياه أليس ذلك ابتداعا في الدين وقد حذر النبي بقوله صلى الله عليه وسلم (**من أحدث في ديننا هذا ما ليس منه فهو رد**)، رواه الشيخان وقد قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رؤية غير الأنبياء عليهم السلام لا يبتني عليه حكم شرعي بل بالاجتهاد أو الوحي انتهى من مرقاة المفاتيح على مشكاة المصابيح ص: ٤٢٠ من الجزء الأول فكيف يفسر بالرؤيا ويرأس القوم ويبعثهم إلى آفاق الأرض حسب رؤياه أليس في هديه وطريقه هذه تلبس بأحكام شرعية كما لا يخفى عمن له أدنى مسكة من العلوم الشرعية.

يفصح القرآن إفصاحا بينا (**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** * النحل: ٤٤) (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** * الحجر: ٩) ورأيس هذه الحركة يعرب أنه يلقى إليه التفسير والعلوم الصحيحة في رؤياه وهذا كما يدعي أخوه أبو الأعلى المودودي في تنقيحاته لا حاجة لتفهيم القرآن إلى التفاسير المعروفة بل يكفي لذلك محاضر في العربية بالطبقة الأعلى وهذان الشقيقان كدأب كل من نحا نحو

الابتداع يتصرفان في تفسير القرآن برأيهما ويدعيان أن حركتهما على الكتاب والسنة وهذه فرية بلا مرية.

قد بين في تبليغي دستور العمل «*إن هدف هذه الجماعة وأغراضها ثلاثة: إعلاء كلمة الله وإشاعة الإسلام وتبليغه، واتحاد بين متفقي العقيدة والمسلك مع الإصلاح المذهبي والأخلاقي والتعليمي*» ص: ٣ فنحتاج إلى تتبع منشورات هذه الفرقة لنفهم عقائدهم التي تريد الاتحاد بين المتفقين في تلك العقيدة وإذا تفحصت عقائدهم وعقائد قدوائهم تبين لك ما فيها. نشير إلى بعض ذلك فيما يلي إن شاء الله تعالى.

ويقول الأمير محمد إلياس في ملفوظاته «*وهدف حركتنا هذه تعليم ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم برمته وهذا هو غرضنا ومقصودنا وأما دورتنا للتبليغ المعروف بالكشت هي مبادئ حركتنا فقط والكلمة والصلاة والتعليم المتداولة هي مثل الألف والباء والتاء لتلك الحركة* صفحة ٣١ من الملفوظات تبين من هذه المقالة أن مقصوده أن يعلم كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم على مسلكه وعقيدته التي يريد وفي مقال آخر يقول لرفيقه ظهير الحسن «*رفيقي ظهير الحسن مقصودي لا يفهمه أحد يظن الناس أن هذه الحركة حركة الصلاة فقط أقسم بالله إن هذه ليست حركة الصلاة* وبعد أسطر يقول ويفصح بإظهار الحسرة *يا ظهير ننظم قوما جديدا* إلخ ديني دعوت صفحة ٢٠٥ وهذا القول يرشد إلى مقصوده وأن تلك الحركة ليست للدعوة للصلاة فقط كما يذيعه أتباعه اليوم في غالب الأمكنة *وإنما هو ابتكار طريقة وعقيدة بجمع الناس إليها* ويؤيده أيضا ما يبين في محل آخر *وعند الفقير هذا التبليغ جامع للشريعة والطريقة والحقيقة على الوجه الأتم* مكاتيب صفحة ٦٦ وهذا القول يفصح بينا أن هدف هذه الجامعة التي تنظم على رؤيا مؤسسة هي الجامعة للشريعة والطريقة فهل يبقى نقطة من الدين خارجة من هذه الثلاثة، فتبين من هذه المقالات أن هذه دين جديد جامع على دعواه الإسلام جميعا وأساسه ما يظفر به في

رؤياه كما لا يخفى أليس هذا ابتداعا في الدين وضلالا بينا؟

فلنتتبع إلى عقائدهم من المنشورات يقول زميله محمد إدريس أنصاري «*وعقيدة هذه الجماعة لا إله إلا الله محمد رسول الله يعنى اعتقاد أن لا معبود في الوجود سوى الله وأن محمدا رسوله الصادق*» دستور صفحة ٤ وهذه العقيدة عقيدة الإسلام ولا يمتري فيه أحد ولكن أليس يقر بذلك القاديانيون والبهائيون وغيرهم من الفرق الخارجة عن الإسلام باتفاق من يعتد من المسلمين وهل يكتفي بذلك الرسم لتجديد فرقة جديدة في هذا العصر الأخير الذي افترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كما يبشر به النبي الأمين وتشعبت منها فرق أخرى لا تكاد تحصر مع أنه يفسر الشق الثاني من الكلمتين» يكفي لإنفاذ حكم أو عمل أو اجتناب طريقة أن هذا الأمر أو النهي هل ثبت من النبي صلى الله عليه وسلم فقط ولا يتوقف لإطاعة ذلك إلى دليل آخر دستور صفحة ٥ وحينئذ لا يتوقف لإنقاذ أمر أو منعه إلى دليل غير الحديث لا الإجماع ولا القياس مع أنه لا يدعي ظاهرا أنه مجتهد مطلق لأن ذلك يمجه من يعرف تاريخه وأحواله.

ثم يبين عن الشركة في هذه الجماعة في دستور العمل «*كل من يقر بكلمتي الشهادة ويعترف أن معناهما عقيدته وله اتفاق لأغراض تلك الحركة وشوق إلى خدمة الإسلام يكون عضوا لهذه الجماعة وإن كان متعلقا بفرقة من الفرق أو القوم أو ساكنا في ناحية من الدنيا وليس للدخول فيها شرط غير ذلك* ص: ٥ فتحصل من مجموع تلك العبارات إن هذه الفرقة يشترك فيه كل من يدعي الإسلام ولو كان من القاديانيين أو من الفرق الضالة مثل الخوارج والقدرية والمعتزلة ومن حذا نحوهم من الوهابية والمودودية وغيرهم إذا جمعتهم الكلمة ظاهرا ثم لا يلتفت إلا إلى ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان مأثورا عن السلف أو ثابتا بالإجماع أو قياس الأئمة الأربعة ومع ذلك يدعي أنها جامعة للشريعة والطريقة والحقيقة برمتها فماذا بعد الحق إلا الضلال.

لمن يطيع

فقد تبين من بيانه في دستور العمل أنه لا يتوقف لتنفيذ حكم أو منع عن أمر إلا بما ثبت عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم ولو ورد عن الأئمة المجتهدين جمع أو توفيق بخلافه أو تفسير أو بيان عن النقاد أو المحدثين وكل واحد يأخذ بما ثبت عن النبي فقط وهذه هي دعوى أمير الجماعة الإسلامية أبو الأعلى المودودي كما بين ذلك في دستوره أيضا وهذان الفرقتان تتفقان بأنهما لا تشترطان للشركة غير الإقرار بكلمتي الشهادة ولا تأخذان إلا ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم يكتب في بيان الإمارة «*في نظام الإسلام الإمارة عهدة مهمة ومن ينتخب أميرا في الجماعة التبليغية على نظامه فهو مفهوم أولي الأمر المعهود في الشريعة المطهرة فإطاعته بالمعروف فرض على كل واحد من الأفراد كما إن طاعة الله ورسوله فرض*» صفحة ٦ ثم يفصح عن حكمه «*وحكم الأمير إن كان داخلا في الحدود الشرعية يجب العمل به بلا اعتراض ولا طلب حجة ودليل ورفض حكمه مساهلة أو لكونه على خلاف رضاه كبيرة مؤاخذة عند الله تعالى*» صفحة ٧ فتحقق أن أمير الجماعة المنتخبة منهم في حكم أولي الأمر والإطاعة واجبة لهم بلا اعتراض إن كان في حدود الشرع عندهم وهي كما لا يخفى ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فقط.

ويبين عن فرائض الأمير «*يجب على الأمير في حكم أمر خاص أن يشاور أولي الألباب من الجماعة ثم يشاور أصحاب الشورى ولكن إذا اختلفت الآراء يحكم الأمير بما يطمأن به قلبه وإن كان موافقا لرأي فرد واحد مخالفا لجميع الأفراد من الجماعة ص: ٨*

فثبت من هذه العبارات أنهم لا يطيعون إلا بما ثبت عن النبي وأميرهم هو الذي أوجب الطاعة في القرآن، وطاعته فرض، وينتقم الله من خالفه ويجب الطاعة للأمير ولو كان ذلك على خلاف ما عليه أصحاب الشورى وأولوا الألباب من

أتباع تلك الفرقة وهم كما لا يخفي كل من يقر بكلمتي الشهادة من غير شرط أن يكون من فرقة أو أن يكون عالما أو غير ذلك ويجد ربنا أن نتذكر ما نقل عن السلف في تفسير أولي الأمر قال العلامة أبو السعود: هم أمراء الحق ولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدي بهم وعبارة الكرخي: أي أمراء المسلمين في عهد الرسول وبعده ويندرج فيها القضاة وأمراء السرايا وقيل هم علماء الشرع الخ. من الفتوحات الإلهية واعتبروا هل يدخل فيهم من ينتخبه الخلفاء والجماعة السياحة أميرا منهم وقد أوجبوا له الإطاعة وجعلوا رفض حكمه من الكبائر المؤاخذة عند الله تعالى.

قد حققنا في السابقه أن هذه الفرقة يدخلون في جماعتهم كل من يتفوه بكلمة الشهادة من غير تتبع عن عقائدهم هل هي سالمة خالصة عن البدع أم خارجة عن السنة والجماعة وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم عن حال هذه الأمة بقوله: (**إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة**) قالوا من هم يا رسول الله قال: (**ما أنا عليه وأصحابي**) رواه الترمذي عن ابن عمر وفي رواية أحمد وأبي داود عن معاوية (**ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة**) كذا في باب الاعتصام من المشكاة فعلينا معاشر المسلمين أن نتفحص عن هذه الفرقة الناجية وعقائدهم راغبين في الجنة ونجتنب عن الفرق المخالفة لهذه الفرقة لكي نسلم من حر جهنم ووهجها ولا يخفى ما في الحديث الثاني «وهي الجماعة» هذا وقد بين غوث الأعظم عبد القادر الجيلاني قدس سره عن هذه الجماعة وعن الحديث السابق حيث يقول: فعلى المؤمن إتباع السنة والجماعة فالسنة ما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والجماعة ما اتفق عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلافة الأئمة الأربعة الراشدين المهديين رحمة الله عليه أجمعين وأن لا يكاثر أهل البدع ولا يدانيهم ولا يسلم عليهم لأن إمامنا أحمد بن حنبل رحمه الله قال: من سلم على صاحب بدعة فقد أحبه، لقول

النبي صلى الله عليه وسلم (**افشوا السلام بينكم تحابوا**) إلى آخر ما قال في الغنية لطالبي الحق ص: ٩٠ من الجزء الأول وقد نقله عنه وحققه العلامة خاتمة المحققين شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة ص: ١٤٩ أيضا ويقال لمخالفي أهل السنة مبتدعا من القرن الأول قال ابن حجر الهيتمي في فتح الجواد والمبتدع من يعتقد ما أجمع عليه أهل السنة على خلافه وهم من الخلف أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي وأتباعهما انتهى كردي على شرح با فضل وقال في فتاوى الحديثية والمراد بأصحاب البدع من كان على خلاف ما عليه أهل السنة والمراد بهم أتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي ويدخل في المبتدعة كل من أحدث في الإسلام حدثا لم يشهد الشرع بحسنه انتهى ص: ٢٠٥ وقال الشهاب القليوبي في حاشيته على كتر الراغبين قوله: غير سني وهو من يخالف ما عليه الإمامان أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي لأنهما على ما كان عليه النبي وأصحابه هـــ صفحة ٣٢٢ من الجزء الرابع.

فقد تبين مما سطرناه أن الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة كما بينه صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم والناجية منهم واحدة فقط ويجب على المؤمن تتبع هذه الفرقة وأتباعهم لكي ينجوا من الجحيم وهم من الخلف من يتبع ما عليه الإمامان أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي فكيف يكتفي في هذا العصر الأخير لمن يؤسس طائفة جديدة بمجرد إقرار بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله من غير أن يتمسك بعقيدة أهل السنة والجماعة وهذه الفرقة الجديدة الموسومة بالجماعة التبليغية يقرون ويرسمون في دستورهم ليس في دخول هذه الفرقة شرط سوى الإقرار بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وإن كان متعلقا بأي فرقة من الفرق ولا يطيعون ويسلمون لحكم أحد سوى الرسول صلى الله عليه وسلم ولو من الصحابة والأئمة المجتهدين مع ما نشاهد من أحوالهم وعملهم أنهم يدورون بكل من يطيعون أن يشاركوهم في الدورة (الكشت) سواء كانوا من القاديانية أو النيجرية أو الوهابية

والمودودية أو غيرهم من الفرق الخارجة عن الإسلام المدعين به أو المبتدعة المارقة ويشيعون بين الناس ذوي الجهل ومن لم يدري أحوالهم من أهل العلم أنهم من أهل السنة وليس عندهم عقيدة مخالفة لها ولا طريقة مبتكرة خارجة عن أهل السنة أليس ذلك تخبيطا وتضليلا للأمة؟

وإن قلت هلا يسوغ إصلاح عقائدهم بعد الدخول في تلك الجماعة قلت هذا خلاف الواقع المشاهد مهم مع أنهم يمنعون ذلك البحث ويحيلون كلا إلى عقائدهم يقول في دستور العلم صفحة ١٦ *لا يخوض في مسألة نزاعية أو فروعية بل يبلغ أصل التوحيد وأركان الإسلام فقط* وكذا في مفتاح التبليغ ص: ٢١٨ أيضا ويقول المؤسس محمد إلياس *وأصل تحريكنا هذا أن نسعى لليقين في الإيمان والقدر في الدين ولا يصح تفصيل الأحكام العقائدي بل يزيد بذلك الفتنة والاختلاج في بواطن الناس* انتهى ملفوظات ص: ١١٦ ويقول أيضا *ذكرتم الناس في بعض المحال عن لفظ البدعة فاحترزوا في المستقبل عن مثل تلك اللفظ لأنها تثير الفتنة بين الناس* مكاتيب صفحة ١٤٢

فقد وضح مما سطرناه أمور، ليس لهم عقيدة خاصة منسوبة إلى أهل السنة والجماعة ويدخلون في جماعتهم كل فرق من الثلاث والسبعين أو الخارجة عن الإسلام ثم لا يخوضون في الأمور الاعتقادية بل يمنعون عن الخوض فيها، ويشيعون أنهم على قدم الأنبياء ومسلكهم ثم لا يطلبون الطريق الحق في الاعتقاد بل يعلمون أعضاءهم أن الطالب عنه يثير الفتنة، لكل أحد أن يدخل في تلك الجماعة ويدور معهم مع اعتقاده الفاسد ويسعى معهم إلى آخر عمره وهم أهل أصل الدين، لا يستعمل لفظ البدعة وأمثالها ولا يحترز عنها لأنها فتنة ومع كل ذلك يدعون أنهم أهل السنة والجماعة وأي شبهة تبقى بعد هذا البيان عن ضلالة هذه الفرقة عند أهل الحق - هذا وقد حذر الأئمة عن اختلاط أهل البدع ومداناتهم ومداراتهم يقول قطب الأقطاب عبد القادر الجيلاني قدس سره يباينهم ويعاديهم في الله معتقدا بطلان مذهب أهل بدعة محتسبا بذلك الثواب الجزيل والأجر الكثير وروي عن النبي صلى

الله عليه وسلم أنه قال: (**من نظر إلى صاحب بدعة بغضا له في الله ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ومن انتهر صاحب بدعة بغضا له في الله أمنه الله يوم القيامة ومن استحقر صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة ومن لقيه بالبشر أو بما يسره فقد استخف بما أنزل الله على محمد**) وعن المغيرة عن ابن عباس قال: قال صلى الله عليه وسلم (**أبى الله عز وجل أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته**) وقال فضيل بن عياض: من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإيمان من قبله: وإذا علم الله من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رحوت الله أن يغفر ذنوبه وإن قل عمله وإذا رأيت مبتدعا في طريق فخذ طريقا آخر إلى آخر ما أطال عنهم في الغنية ص: ٩٠ من الجزء الأول منه والجماعة التبليغية من منتحلي الإسلام وأهل السنة يدخلون في جماعتهم كل فرق من غير تمييز بين أهل السنة وأهل البدعة ويدعون بعد ذلك أنهم على الحق وهل هذا إلا جمع الضدين؟

جراثيم الوهابية على لسان المحرك

قد فهمنا مما مضى أن هذا التحريك هو ما يحصل من منام محركه محمد إلياس ويظفر بالشركة فيه كل من تفوه بالكلمتين ولكن بخدريح الوهابية وجراثيمها في طي كلامه يقول مرة «*الحضور في ختم القرآن والأوراد مستحسن وموردود من أكابركم ولكن إن كان فيه خطر التشبه بالمبتدعة فاللائق الاحتياط عنه وفي خطاب الصلاة والسلام عليك أيضا هذا الخطر ان كان يظن الحضور والنظر منه صلى الله عليه وسلم أو كان بصورة التشبه بالمبتدعة(؟) فلا يجوز وإن كان بغلبة الشوق من نفسه فلا بأس به ولكن يكون للشيطان مدخل في إفساد عقيدته في طيه ولهذا هو أيضا خطر كبير*» مكاتيب صفحة ٩٠ تدبروا يقر أنه لا يجوز نداؤه ومخاطبته صلى الله عليه وسلم معتقدا حضوره ونظره بل ولو كان بغلبة الشوق من غير قصد فهو أيضا سبب لفساد العقيدة فلذلك يجتنب عنه وهذه دعوى وهابية بل يزيد عليه بمنع ندائه صلى الله عليه وسلم مع غلبة الشوق أيضا وذلك ما لم ينه عنه مسلم فليت

شعري ماذا يعني هذا الشخص وأتباعه عند قولهم السلام عليك أيها النبي الخ، في التشهد وانظر إلى ما قاله حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في الإحياء: وأحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل سلام عليك أيها النبي الخ، وليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه ص: ١٢٩ من الجزء الأول. واذكر ما قاله محمد حقي أفندي في خزينة الأسرار المقام الأول: أن يعد المصلي والمسلم نفسه وملاحظته عند حضرة الباب ويذكر الصلاة والسلام عليه بطريق الخطاب مع التعظيم والتوقير والآداب مستشفعا ومستمدا أو متوصلا به إلى الله الوهاب فيناسب له في ذلك المقام السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته الخ. خزينة الأسرار صفحة: ١٦٧.

وقال العارف بالله سيدي محمد عثمان الميرغني: فتخيل أنك واقف بالمواجهة وكأنك واقف بين يديه مواجهة فإنه صلى الله عليه وسلم يسمعك ويراك ولو كنت بعيدا فإنه يسمع بالله ويرى به فلا يخفى عليه قريب ولا بعيد هي أقرب الطرق إلى الحق. صفحة ١٤ وهذه العبارات تشهد بأنه يقصد عند مخاطبته رؤيته وسمعه رغما على أنف محرك الجماعة التبليغية وهو يمنع ذلك ولو مع غلبة الشوق أيضا ويعتقد أنه صلى الله عليه وسلم لا يسمع مخاطبته ولا يرى أحدا وهذا هو أساس دعوى الوهابية بمنع سماع الموتى وعد الحضرة الشريفة كمثل الآحاد.

واصح ما قاله خاتمة المحققين أحمد بن حجر الهيتمي في فتاواه جوابا لسؤال ما تقول في هذا الرجل وهذا إشارة إلى الحضور وقد يموت في الوقت الواحد خلق كثير ويقال ذلك لكل واحد منهم فكيف هذا؟

يقول في جوابه وفيه رد على من أنكر رؤيته صلى الله عليه وسلم في الأقطار في زمن واحد بصور مختلفة ودليله عقلا أنهم جعلوا ذاته الشريفة كالمرآة كل يرى فيه صورته على ما هي عليه من حسن أو قبح والمرآة على حالها من الحسن لم تتبدل الخ. فتاوى الكبرى ص: ٩ من الجزء الثاني وكيف يمتري في حضوره ونظره صلى

الله عليه وسلم مسلم فإن الأرواح المقدسة للأنبياء بل والأولياء إذا تجردت عن العلائق البدنية تزيد مراتبهم وتتصرف تصرفا تاما كالملائكة حقق ذلك وقرره الأئمة كابرا عن كابر وما أنكر ذلك إلا مثل رئيس الوهابية محمد بن عبد الوهاب ممن أضله الله واقتفى أثره رأيس الجماعة التبليغية.

وها أنا انقل نموذجا من عبارات الأئمة لكي يقر عين الراغب في مددهم ورغما على أنف الملاحدة يقول قدوة العلماء من شمالي الهند شاه ولي الله الدهلوي: فإذا مات انقطعت العلاقات ورجع إلى مزاجه فيلحق بالملائكة فصار منهم وألهم كإلهامهم ويسعى فيما يسعون فيه وربما اشتغل هؤلاء بإعلاء كلمة الله ونصر حزب الله وربما كان لهم لمة خير بابن آدم انتهى حجة الله البالغة ص: ٣٥ من الجزء الأول فقد عد الأرواح المقدسة من الملائكة وأثبت لهم جميع التصرفات مثلهم أليس في ذلك مقنع لمن ينكر سماعه وحضوره صلى الله عليه وسلم وهو أصل النشأة لكل موجود وسبب للوصول إلى حضرة الله سبحانه وتعالى باتفاق العلماء وقال العلامة المناوي في الروض النضير على جامع الصغير النفوس القدسية: إذا تجردت عن العلائق البدنية عرجت واتصلت بالملأ الأعلى ولم يبق لها حجاب فترى الكل كالمشاهدة بنفسها أو بإخبار الملائكة وفيه سر يطلع عليه من تيسر له ذكره القاضي إذا كان ذلك حال النفوس المقدسة جميعا فكيف بحال سيد الكونين شفيع الورى على الإطلاق.

ويقول سيدنا أحمد زيني دحلان في تقريب الأصول وقد صرح كثير من العارفين: أن الولي بعد وفاته تتعلق روحه بمريديه فيحصل لهم ببركته أنوار وفيوضات وممن صرح بذلك قطب الإرشاد سيدي عبد الله الحداد فإنه قال: الولي يكون اعتناؤه بقرابته اللائذين به بعد موته أكثر من اعتنائهم بهم في حياته لأنه في حياته كان مشغولا بالتكليف وبعد موته طرح عنه الأعباء وتجرد والحي فيه خصوصية وبشرية وربما غلبت إحداهما الأخرى وخصوصا في هذا الزمان فإنها تغلب البشرية

والميت ما فيه إلا الخصوصية فقط وقال أيضا إن الأخيار إذا ماتوا لم تفقد منهم إلا أعيانهم وصورهم وأما حقائقهم فموجودة فهم أحياء في قبورهم وإذا كان الولي حيا في قبره فإنه لم يفقد شيئا من علمه وعقله وقوة الروحانية بل تزداد أرواحهم بعد الموت بصيرة انتهى إلى آخر ما قال صفحة ٥٨ من تقريب الأصول. إذا كان ذلك أمر كل ولي لله تعالى فكيف بالأنبياء سيما خيرهم وأفضلهم سيد الورى وهل ينكر ذلك إلا من اتسم بجراثيم الوهابية وتمسك بخدع الملاحدة المارقة من الدين حمانا الله تعالى من مثل تلك البلوى آمين.

باني التبليغ
والطريقة والتصوف

قد وضح مما أسلفناه أن باني التبليغ يبتكر نهجا جديدا لا يميز فيه السنة عن البدعة بل يمنع البحث عن ذلك ويمنع عن تعليم الفروعيات والدخول فيه ويكتفي بقراءة الفضائل من الرسائل المعينة موسوما باسم التعليم ثم بعد ذلك يظن بعض من لا مسكة بخداعهم أنهم يتمسكون بالطريقة المعهودة عن المشايخ والأوراد والوظائف المتبعة كابرا عن كابر وسبب ذلك أنه أدخل في چهـــ باتين (الأمور الستة) الذكر والتعليم فلنبين لك عن طريقتهم في هذا ولا يخفى عليك أن الطريقة هي سبيل الوصول إلى حضرة الباري سبحانه كما قال السرخسي:

وإنما القوم مسافرون * لحضرة الرحمن ظاعنون

فافتقروا فيها إلى دليل * ذي بصر بالسير والمقيل

قد سلك الطريق ثم دعا * ليخبر القوم بما أفاد

إلى آخر ما قال - هذا - واضح ما يقول باني التبليغ (*وإنما فائدة الطريقة الترغيب إلى أحكام الله والتنفير عن المحظورات فقط وهذه هي فائدة الطريقة وأما الأذكار والوظائف المخصوصة وغير ذلك فهي لتحصيل ذلك ولكن كثيرين في هذا الزمان يظنون هذه الأسباب هدفهم وبعض ذلك بدعة أيضا*. انتهى) ملفوظات صفحة ١٤.

قد تبين من ذلك أن الطريقة عنده هي السبيل لتمرين الأوامر والترغيب فإذا حصل ذلك الترغيب فلا حاجة إلى الطريقة بعد ذلك فإذا خرج واحد معهم مريدا للتبليغ فقد حصل له الترغيب فلا غرو أن لا يطلب الطريقة ويسلك فيها – هذا – ولننظر أيضا إلى ما أفاده العلماء المتقنون الجامعون للعلوم الظاهرة والباطنة يقول الشيخ زين الدين علي المعبري رحمه الله ونفعنا به في منظومة هداية الأذكياء في الوظيفة بعد صلاة الصبح:

ثم اشتغل بالورد لا تتمكلمن * مستقبلا ومراقبا ومهللا

بطريقة معهودة لمشايخ * لترى بها نارا ونورا حاصلا

فيضيء وجه القلب بالنور الجلي * ويصير مذموم الطبائع زائلا

فتصير أهلا للمشاهدة التي * هي نعمة عظمى فصر متأهلا

حتى إذا شمس بدت كرميحنا * صلى لإشراق وقرآنا تلا

إلى آخره وقال الشيخ السيد البكري الدمياطي في شرح تلك المنظومة يعني: ثم إذا فرغت من صلاة الصبح مراعيا للآداب المتقدمة فاشتغل بالورد من الأذكار والتسبيح والأدعية والآيات التي وردت في فضلها إلى طلوع الشمس قال عليه السلام **(من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت كأجر حجة وعمرة تامة)** قال حجة الإسلام الغزالي إن هذا الوقت أعني ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وقت شريف ويدل على شرفه وفضله أقسام الله تعالى به الخ. فإذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم إلى طلوع الشمس بل ينبغي أن تكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع أدعية وأذكار ويكررها في سبحة وقراءة قرآن وتفكر انتهى ص: ٤٦ من كفاية الأتقياء.

تقرر من هذا البيان أمران جليلان أحدهما أن العلماء الأجلة يقولون: أن فائدة الطريقة وأورادها لضياء القلوب وللتأهل للمشاهدة التي هي النعمة العظمى والمقصد الأقصى للعقلاء وهي الطريق إلى الوصول إلى حضرة الباري سبحانه وتعالى بواسطة

الشيوخ الكمل ومؤسس الجماعة التبليغية يقول: *ليست فائدة الطريقة إلا تمرين الأوامر والترغيب فيها*. أليس هذا تجديد طريقة في الدين على خلاف ما عليه السلف الصالحون والأئمة المتقنون؟ والثاني يقول: *العلماء الصوفية المتبعون على قدم أهل السنة لا يشتغل المريد بعد صلاة الصبح إلى الطلوع إلا بأربعة أمور الأدعية والأذكار والقراءة والتفكر*.

وباني التبليغ ورجاله ينظمون طريقة مبتكرة على خلاف ذلك حيث يقول في دستور العمل ص: ٢٠ في نظام الأوقات «*وبعد صلاة الصبح يقرأ الترجمة أو يعلم القرآن*» ولا يخفى ما في طريق تبليغه المبينة في «جهـــ باتين» حيث أدرج فيها الذكر والتعليم من أن هذا الذكر ليس على الطريقة المعهودة والمراد من التعليم أيضا ما يقرأه الجهلة منهم من كتب الفضائل المختارة من أميرهم وليس فيها تعليم للأحكام أو الأمور الحالية كما يشاهد منهم ويرويه من سلك معهم.

ولتلتفت نظرك إلى ما أشرنا في الحلقة الأولى من تاريخ المؤسس ومغادرته التصوف والطريقة حيث يقول: *وبعد برهة من الزمان أجازني شيخي لتربية المريدين وتعليمهم وظائف التصوف ورياضاتهم فعلمتهم أهمية الذكر فبنعمة الله وجدوا لذة الذكر سريعا وعجبت من أحوالهم وترقيهم ثم تفكرت من فائدتها فرأيت أنهم يصلون إلى شهرة بخوارق بين الخلائق بحيث ينجحون في القضايا من المحاكمات ويظفرون بالأولاد بعد العقم ويجدون الربح في التجارات والضاعات والكسب إلى غير ذلك والصوفية يدعون لهم ويهدون لهم الهياكل والتمائم ويرغب الخلق في التصوف ويكرمونهم لهذه الأغراض ويسلكون مسلكهم أيضا راغبين في هذه الأمور ويرتاضون لذلك ثم بعد التفكر قل شوقي في هذا المسلك وغادرت الطريقة* انتهى إلى آخر ما قال في الجريدة اليومية جندركه ٧٦ - ٧ - ٢٤ من موضوع جمال محمد المحاضر في كلية قائد أعظم بمدراس.

أليس هذا إزراء بالطريقة والتصوف أو جهل عن مسلكهم وهل رياضات

المتصوفة ومجاهداتهم لكتابة التمائم والهياكل؟ أليس هذا من تلبيس إبليس وتخبيط الناس بالوسواس الخناس كما قيل يدخل شعبان في رمضان.

وبالجملة هذا الشخص يتبع رؤياه بعد مغادرته طريقة المشايخ فأي دليل يدل على أنه ليس من عدات الشيطان وأمنياته أو أنه أضغاث أحلام الكرى حيث ترك التمسك بطريقة الصوفية المعهودة في الإسلام فذكره وتهليله أيضا ليس على سبيل الطريقة المتبعة من الأشياخ كما لا يخفى من إقراره وبيانه.

من هم أسوته؟

يقول السيد أبوالحسن علي الندوي في (محمد إلياس أوران كى ديني دعوت) أن باني التبليغ محمد إلياس لازم وهو ابن عشر سنين إلى عشرين شيخه رشيد أحمد الجنجوهي وأعطاه الخرقة وبايعه بالطريق المخصوص خلاف عادته لما رأى فيه النجابة ص: ٤٤ وهو يبين عن شيخه في ملفوظاته بقوله: *الشيخ الجنجوهي قطب الإرشاد في هذا الزمان والمجدد للأمة ولكن لا حاجة للمجدد أن يظهر أعماله التجديدية على يده بل كلما ظهر على يد رجاله فهو بالواسطة من أموره التجديدية كما أن أعمال الخلفاء الراشدين سيما الشيخين منهم من أعماله عليه الصلاة والسلام في الحقيقة* صفحة ١٢٣ ثم بعد انتقال شيخه الجنجوهي لازم الخليل أحمد الأنبيتوي السهارنفوري والأشرف علي التهانوي كما بينه أبو الحسن في «ديني دعوت» صفحة ٤٨ و ٤٩ ويفصح عن التهانوي في ملفوظاته «*قد سعى التهانوي سعيا بليغا لذلك يرجو قلبي أن يكون التعليم له وطريقة التبليغ لي فينتشر تعليماته به*» ص: ٥٧ ويقول في مكاتيبه: *ولا بد للانتفاع بالتهانوي أن يحبه ويحب رجاله وأن يطالع كتبه فمن مطالعة كتبه يحصل العلوم ومن رجاله يحصل العمل* ص: ١٣٨. فقد تبين من هذا البيان أن أسوته هم الرشيد أحمد الجنجوهي وأشرف علي التهانوي من علماء شمال الهند ومن نحا نحوهما.

ثم نطالع عن الرشيد وكتبه وأقواله - وهو الذي اقتدى به مؤسس هذه الجماعة

أولا وبين أنه المجدد وقطب الإرشاد - وهذا الرجل يثني على محمد عبد الوهاب الذي كفر الأمة على توسلهم بالصالحين واستغاثتهم بهم حيث يقول في فتاواه «*يقول الناس عن محمد بن عبد الوهاب أنه وهابي وهو رجل صالح سمعت أنه حنبلي المذهب وعامل بالأحاديث وراد على البدعة والشرك ولكن في مزاجه شدة* ص: ٢٣٧ فتاوى رشيدية ويقول أيضا في ص: ٢٣٥: *يقول الناس عن أتباع محمد ابن عبد الوهاب أنهم وهابيون وعقائدهم حسنة ومذهبهم حنبلي* إلى آخره. وهل يخفى على من يقرأ تاريخهم وثورتهم في جزيرة العرب وقتالهم للمسلمين مستحلين دمائهم وأموالهم أن هذه الفرقة مارقة عن الدين الحنيفي كما أشار صاحب الشريعة: (**يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية**) يشهد لذلك قول الشامي في شرح در المختار: «كما وقع في زماننا أتباع ابن عبد الوهاب الذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون وأن من خالف اعتقادهم مشركون واستباحوا بذلك قتل أهل السنة وقتل علمائهم حتى كسر الله شوكتهم» الخ. ٤٢٧ - ٢ انظر تفاصيله في كتب الإمام السيد أحمد زيني دحلان جزاه تعالى خير الجزاء.

ويقول الرشيد أيضا في فتاواه عن محمد إسماعيل الدهلوي الذي يذر بذور الوهابية في الهند أولا (*أن المولوي محمد إسماعيل عالم متقي مزيح للبدعة وعامل بالقرآن والسنة والهادي للخلق* الخ.) ص: ٤١ ويقوم أيضا وكتابه (*تقوية الإيمان*) *أحسن كتب وأصدقها والموجب لقوة الإيمان واشتمل على مقاصد القرآن والحديث أجمع* ويقول أيضا (*كتاب تقوية الإيمان أحسن كتب وأبلغ ردا على الشرك والبدعة والاستدلال فيها جميعا بالكتاب والسنة فاتخاذه وادخاره والعمل عليه عين الإسلام* الخ. ٤١ توقف قليلا وتفحص ما قال عن هذا الكتاب الزائغ فحول العلماء من الهند يقول العلامة المفتي على المذاهب الأربعة أبو العسادات الشيخ شهاب الدين أحمد كويا الشالياتي عن تقوية الإيمان (هذا كتاب رأس الوهابيين في الهند وأساس الفرق

المحدثة في ديوبند وقد رد عليه علماء أهل السنة من أهل السند والهند والعجم وأهل الحرمين والعرب فلا تغتر بما في هذا الكتاب من المضامين فإن فيها كلمات حق أريد بها بواطل فتدبر ولا تغتر والله الموفق انتهى) ويقول أيضا (فإنه أول من مال إلى الترعة التيمية والترعة النجدية في الهند واقتفى أثره من أضله الله على علم وامتازت طائفة بأمور منها الاعتقاد بإمكان كذب الباري جل وعلا بالذات وامتناعه بالغير وإمكان نظير خاتم الأنبياء بالذات وإمتناعه بالغير هذا فنعوذ بالله من الحور بعد الكور انتهى) من دفع شر الأثير ص: ٤ وفي فتاوى المرحوم محمد تميم مفتي مدراس «فلا شك في أن تقوية الإيمان المستحق تسميتها بتكوية الإيمان تضيف إسماعيل الدهلوي مشتمل على كفريات وضلالات وخرافات وخزعبيلات فمن اعقد صحتها فقد خرج عن دائرة الإسلام عند الفضلاء الأعلام انتهى) إذا تأملت فيما سطرناه تبين لك أن الرشيد أحمد الجنجوهي مرشد باني الجماعة يزكي على محمد ابن عبد الوهاب ومحمد إسماعيل الدهلوي خلاف ما عليه العلماء الأعلام من أهل السنة ومع ذلك نتفحص عن عقائده بالخصوص: يقول في فتاواه «*لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب ولم يدع به أيضا وقد ثبت في كلام الله تعالى وكثير من الأحاديث أنه لا يعلم الغيب فمن اعتقد أنه صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب فقد أشرك*» صفحة ٩٦ ويقول أيضا «*علم الغيب خاص بالله سبحانه وتعالى فإطلاقه على غيره بأي تأويل لا يخلو عن إيهام الشرك* ص: ٩٣ *تصور الأولياء ومراقبتهم باعتقاد أنهم يعلمون ذلك غير صحيح ويخاف منه الشرك* ص: ٤٩ *النداء بيا رسول الله معتقدا بأنه يسمع صلى الله عليه وسلم من بعيد كفر صريح وإن لم يعتقد ذلك فهو مشابه للكفر أيضا* ص: ٦٦ *وظيفة يا شيخ عبد القادر جيلاني شيئا لله غير جائز عندي وإن لم يكن شركا فهو مشابه للشرك الخ* ٥٠ *ومن قال ذلك معتقدا بأن الشيخ يعلم الغيب بذاته ويتصرف بذاته فهو مشرك وإن اعتقد أن الله يطلع على الشيخ أو يتصرف الشيخ بإذنه تعالى فليس بمشرك ولكن استعمال مثل ذلك من*

الألفاظ الموهمة غير صحيح ومعصية انتهى منه انعقاد مجلس المولد على الرسول صلى الله عليه وسلم وإن لم يكن فيه أمر غير مشروع غير جائز في هذا الزمن ومثل ذلك العروس (الزيارة المعهودة لمشاهد الأولياء) فقد كانت أمور كثيرة مباحة في العصر الأول ثم كانت ممنوعة بعد ذلك فالمولد والعروس من هذه الأمور ص: ١٠٥ «*فالهداية واستحقاق الجنة ثابتة في متبعي* تذكرة الرشيد ص: ١٧ تبين لنا من هذه البيانات ان الجنجوهي يخالف أهل السنة في إثبات علم الغيب للأنبياء والأولياء ونداء الأموات ذوي الأرواح المقدسة وانعقاد مجلس المولد على الرسول والصالحين لتذكارهم إلى غير ذلك مما هو مسطور في فتاواه.

ومن عقائده أيضا أن كذب الباري سبحانه وتعالى ممكن بالذات وممتنع للغير *والكذب على ما لا يخفى الإخبار بخلاف الواقع فهو ممكن في حقه تعالى ولكن لا يفعله هذا هو دعواه في فتاواه* انظر ص: ٨٤ من فتاواه واستدل لذلك أنه سبحانه وتعالى *أوعد فرعون بدخول النار ومع ذلك له قدرة على إنجائه وإدخاله الجنة* وذلك الاستدلال غير مفيد لدعواه وأين خلف الميعاد من الأخبار بخلاف الواقع! فالكذب بهذا المعنى مذموم في حق المخلوقين فضلا عن رب الأرباب وخلف الوعيد محمود في حقهم كما قال الشاعر:

وأني إذا أوعدته أو وعدته * لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

فدعواه مخالف لأهل السنة مع أن دليله لا يطابق المدلول وهل ينكر مسلم قوله تعالى وهو أصدق القائلين (**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً** * النساء: ٨٧) انتهى.

عقائد الدهلوي

والتهانوي والسهارنفوري

قد بينا في الحلقة السابقة عقائد الجنجوهي مرشد باني الجماعة وبعد ذلك ننظر إلى عقائد محمد إسماعيل الدهلوي الذي قال عنه الجنجوهي أن كتابه تقوية الإيمان عين الإسلام والكتاب والسنة يقول «*النداء بيا محمد معتقدا بأنه يعلم ويراه*

شرك فمن نادى نبيا أو وليا من بعيد فقد أشرك ومن طلب الحاجات منهم فهو أيضا مشرك ومن خرج لزيارة مقابرهم فهو مشرك والمشتغل بإيقاد السراج والتطهير في المقابر وسقاية الزوار كافر أيضا الخ» ص: ٨ من تقوية الإيمان ويقول في رسالته الصراط المستقيم *«ومن تصور في الصلاة أنه يزني أو يباشر مع زوجته فلا حرج فيه ولكن تصور المشايخ وتذكرهم حتى الرسول صلى الله عليه وسلم ممنوع وذلك أضر من تصور الحمار والبقر* ص: ٩١ تفكروا هلا يدخل فيه تصوره صلى الله عليه وسلم عند قوله في التشهد السلام عليك أيها النبي الخ وهلا يكون شركا تصوره ومراقبته صلى الله عليه وسلم في ذهنه؟ هل هذا إلا تضليل الأمة؟ مع أن حجة الإسلام الغزالي يقول واحضم في قلبك شخصه الكريم وقل سلام عليك أيها النبي الخ وليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه انتهى إحياء ص: ١٦٩

ثم لنورد نبذة من عقائد التهانوي الذي زكى عنه واضع التبليغ بقوله التعليم للتهانوي والطريقة لي يقول التهانوي: *نسأل عن المدعي بعلم الغيب للرسول هل يعلم جميع المغيبات أو بعضها (ولا نسلم أنه يعلم الجميع) وإن كان يعلم بعض المغيبات فأي خصوصية له صلى الله عليه وسلم في ذلك فإن زيدا وعمروا بل المجانين والبهائم والأطفال يعلم مثل هذا الخ من حفظ الإيمان* ص: ٧ - ٨ معاذ الله وهل يسوغ لمسلم هذا التشبيه! شبه أشرف الكائنات وسبب النشأة والواسطة العظمى بالمجانين والبهائم في علمه الغيب وعدمه ويصرح أيضا في رسالته المشهورة المسماة «بجلي الجنة» (بهشتي زيور) «*طلب الحاجات من العظماء وطلب الأيام السعيدة والنحسة وعقد الفلوس المنذورة في أعناق الأطفال والأوراد بأسماء الصالحين الشرفاء* شرك إلى غير ذلك مما هي متعارفة بين المسلمين على سبيل تعاطي الأسباب أو التبرك وهل هذه الدعوى إلا ضلالة وبدعة محدثة من الوهابية والتيمية؟ وهذه هي تعليمات الإلياس مؤسس التبليغ على طريقة المخترعة كما صرح به.

ويقول الخليل أحمد السهارنفوري الذي لازمه أمير التبليغ بعد انتقال مرشده

الجنجوهي على ما نقل عنه الندوي «*لقد ثبت العلم الواسع لإبليس والملك الموت بالنصوص القاطعة وأي دليل على سعة علمه صلى الله عليه وسلم قاطعا بحيث يقابل النصوص وإنما ذلك إثبات شرك يرد به النصوص* ص: ٥١ من البراهين القاطعة هـــ تفكروا عن إثبات سعة العلم لإبليس وعزرائيل على أشرف الكائنات وجزم بأن مخالفته رد النصوص وإثبات الشرك.

تبين لنا من بيانات الإلياس باني التبليغ وأشياخه الجنجوهي والتهانوي والسهارنفوري والدهلوي أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له علم بالمغيبات والاعتقاد بذلك *ونداؤه صلى الله عليه وسلم من بعيد شرك* فالخلاف بينهم وبين علماء أهل السنة في أمرين مهمين أحدهما أنه صلى الله عليه وسلم وخواص عباده تعالى لا يعلم الغيب على مذهبهم خلاف أهل السنة والثاني ينكرون سماع الموتى نداء الأحياء خلاف ما عليه علماء السنة فلنبحث إن شاء الله فيما بعد عن هذين الأمرين وقبل ذلك نقدم آراء تلك الفرقة عن محمد بن عبد الوهاب وأتباعه واضطرابهم في أمره وما وصل إليه أتباعهم أخيرا في التالية.

آراؤهم عن محمد بن
عبد الوهاب وأتباعه

قد أسلفنا لك ما زكى الجنجوهي مربي الإلياس في فتاواه عن محمد عبد الوهاب وأتباعه وعقائده ولكن لما رأوا أتباع أهل السنة يتنافرون عن ذلك الشخص وأتباعه لما ظهر منهم فتن عظيمة زلزلت جزيرة العرب أجمعها وطارت أخبارهم بين المسلمين شرقا وغربا عربا وعجما شرعوا يتحاشون عنهم ويقولون لم يعرف الجنجوهي أحوالهم فلذلك زكاهم وبعد ذلك تعرف أحوالهم سلالته وصفيه حسين أحمد المدني والسهارنفوري وأعلنا مفاسدهم ومكاسدهم في رسائلهما يريدون بذلك صرف قلوب المسلمين من أهل السنة إلى انتهاضهم وجولانهم وسياحتهم على اسم الدين الحنيفي وأخيرا أعلن رفيق مؤسس التبليغ والتابع له من أول الأمر محمد منظور

النعماني صاحب «ملفوظات إلياس» في جريدة الداعي التي تصدر من دار العلوم الديوبند تحت إشراف محمد طيب أخص تلامذة السيد حسين أحمد المدني ورئيس تلك الجامعات آرائهم عن محمد بن عبد الوهاب وها أنا أنقل لك بعض مقالاتهم ملتقطا من الحلقات السبعة التي نشرت سنة ١٣٩٨ هجرية.

يقول رئيس التحرير في مقدمته: *وما من شك في أنه كان من الشخصيات الإسلامية البارزة ودعاة الخير والصلاح قام بعمل إسلامي جليل في نشر السنة وإماتة البدعة ودحض العقائد الخرافية والتقاليد الشركية* الخ ويقول النعماني في مقدمته صريحا *أن الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي أفتى أولا حينما لم يكن يعرف شيئا عن الشيخ النجدي أنه لا يعرفه وأفتى ثانيا حينما اطلع على أحواله (أنه كانت عقيدته صحيحة صافية) غير أنه أقر في خلال مقالته أن الشيخ النجدي كان يرى الاستمداد بالأموات من التقاليد الخرافية وأعمال الشرك* الخ صفحة ٣ من العدد الثامن من السنة الثانية وفي العدد التاسع يصرح بأنه *قام الشيخ بهدم الضرايح والقباب وتخريب المواطن والأمارات التي تكون سببا لممارسة الأعمال الشركية في حين من الأحيان على دعواه ثم يقر في ذلك العدد بأن إباه الشيخ عبد الوهاب رغم كونه عالما كبيرا وفقيها في مذهب الإمام أحمد بن حنبل لا يمت بصلة إلى الحركة الوهابية لاتجاهه الصوفي المعروف بل أنه قد انتقل من عيينة إلى حريملا وقضى هنالك حياته منعزلا لأن عيينة كانت قد أصبحت موضع نشاط ابنه ومقرا لحركته* الخ فأي شاهد يحتاج إلى ضلالته بعد انعزال والده الشيخ العالم الصوفي المعروف عن ولده وحركته لما رأى فيها الفساد وتضليل الأمة المحمدية.

ثم أوَّلَ النعماني كلام الخليل أحمد السهارنفوري وحسين أحمد المدني في قولهما «الحكم عندنا فيهم كما قال صاحب در المختار وحكمهم حكم البغاة» إلى آخر ما أطالا بأنهما قالا ذلك قبل اطلاع أحوال النجدي وأتباعه وشمر عن ساق للتطبيق بين أقوال ابن عبد الوهاب ومحمد إسماعيل الدهلوي الذي قام بدعوته في

شمالي الهند أولا وها أنا أنقل لك خلاصة مقالته حيث يقول: «*أقول إن الدعايات المضللة والشائعات التي أثارها أعداء الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي والذين عارضوه دينيا وسياسيا ونشروا الأكاذيب الشيطانية عنه في سائر أنحاء العالم عن شتى الأساليب والطرق قد تأثرت بها الأوساط الدينية التي كانت تنتمي إلى الشيخ محمد إسماعيل الدهلوي وتؤمن بنفس العقائد والمبادئ التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي والعلماء الذين يحاربون البدع ويردون التقاليد الشركية ويوافقون الشيخ ابن عبد الوهاب في المبادئ والأهداف والغايات وإن ما كتب الشيخ خليل أحمد السهارنفوري قبل نحو خمسة وسبعين عاما ردا على سؤال بعض علماء المدينة وهو مطبوع ضمن كتابه «التصديقات» وكذلك ما كتب حسين أحمد المدني في «الشهاب الثاقب» كل ذلك قد نتج عن تلك الشائعات والأضاليل التي أثارها المعترضون ونشرها أعداء الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي لأغراض تافهة ومطامع سياسية وقد رجع الشيخ عن رأيه قبل خمسة وخمسين عاما بعد ما هاجر إلى المدينة وأطلع على أفكار الشيخ وآرائه عن كتب الخ* وهكذا حدث مع الشيخ حسين أحمد المدني حيث أنه لم يتنكف عن أن يعلني صريحا بأن ما كتبه في الشهاب الثاقب يبتني على الشائعات وأن رأيه قد تغير عن النجديين بعد ما اطلع على أحوالهم وأفكارهم الدينية وحينما أعلن الشيخ ذلك قبل خمسين عاما كنت متعلما ونشر بيانه حينذاك في بعض الصحف قد بعث إلي بنص ذلك البيان أحد كبار محبيه والمعتقد فيه الشيخ الزاهد صبغة الله البختياري وقد ضمن الشيخ عزيز الدين المرادآبادي هذا البيان كتابه «أكمل البيان» الخ ص: ٥ من العدد الأول للسنة الثالثة.

وهل يشك ويمتري منصف بعد هذا البيان أن رؤساء التبليغ يحاذي حذو النعل بالنعل بالطائفة الوهابية في دعواهم بشرك الاستمداد والاستغاثة والتشفع إلى غير ذلك يصرح بذلك أشياخ مؤسس التبليغ الكنكوهي والسهارنفوري وحسين أحمد المدني والتهانوي وعلى رأسهم محمد إسماعيل الدهلوي الذي اتبع شبرا بشبر لمحمد بن عبد

الوهاب النجدي وبالغ في بعض مقالاته على ذلك الشخص أيضا. فإذا تأملت في مقالات هذه الفرقة يتبين لك أنهم يتبعون ابن عبد الوهاب في عقائده ويزكيه وأتباعه أشد تزكية بحيث يرغب المسلمين في إتباع عقائده ويرد على كل من تنكر النجدي وأتباعه بأنهم أثاروا الفتنة عليه لأغراض تافهة ومطامع سياسة - هذا - هل ترى أباه الصالح الزاهد عبد الوهاب أيضا من هذه الطائفة الطامعين للسياسة أو لأغراض تافهة؟ وهل ترى أخاه الشيخ العلامة سليمان بن عبد الوهاب أيضا من تلك الطوائف؟ وهل ترى شيخه وأستاذه الشيخ سليمان الكردي حيث رد عليه من الطامعين للسياسة أو لأغراض تافهة؟ - يا للعجب - تأمل قليلا أنقل لك مقال شيخه سليمان الكردي في رسالة له (ولا سبيل لك تكفير السواد الأعظم من المسلمين وأنت شاذ عن السواد الأعظم فنسبة الكفر إلى من شذ من السواد الأعظم أقرب لأنه اتبع غير سبيل المؤمنين انتهى) إلى آخر ما كتبه، ثم انظر مقال أخيه الكبير الشقيق حيث يقول خطابا لهم في الصواعق الإلهية «و لم يقولوا (أي أهل العلم) من نذر لغير الله فهو مرتد و لم يقولوا من طلب من غير الله فهو مرتد و لم يقولوا من ذبح لغير الله فهو مرتد و لم يقولوا من تمسح بالقبور وأخذ من ترابها فهو مرتد كما قلتم أنتم فإن كان عندكم شيء فبينوه فإنه لا يجوز كتم العلم ولكنكم أخذتم هذا بمفاهيمكم وفارقتم الإجماع وكفرتم أمة محمد صلى الله عليه وسلم كلهم حيث قلتم من فعل هذه الأفاعيل فهو كافر ومن لم يكفروه فهو كافر ومعلوم عند الخاص والعام أن هذه الأمور ملأت بلاد المسلمين وعند أهل العلم منهم أنها ملأت بلاد المسلمين من أكثر من سبعمائة عام وأن من لم يفعل هذه الأفاعيل من أهل العلم لم يكفروا أهل هذه الأفاعيل و لم يجروا عليهم أحكام المرتدين بل أجروا عليهم أحكام المسلمين بخلاف قولكم حيث أجريتم الكفر والردة على أمصار المسلمين وغيرها من بلاد المسلمين وجعلتم بلادهم بلاد الحرب حتى الحرمين الشريفين الذين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة الصريحة أنهما لا يزالان بلاد إسلام

وأنهما لا تعبد فيهما الأصنام وحتى أن الدجال في آخر الزمان يطأ البلاد كله إلا الحرمين كما تقف عليها إن شاء الله في هذه الرسالة فكل هذه البلاد عندكم بلاد حرب، كفار أهلها فإنا لله وإنا إليه راجعون الخ ص: ٧. وأي شاهد يحتاج بعد هذه الصراحة عن هذه الفرقة المكفرة لأمة محمد قاطبة أنهم ضالون مضلون ومبتدعون مارقون من الدين الحنيفي ومع ذلك، طالع أخي تاريخهم وقتالهم للمسلمين وإثارة الفتن بحيث زلزلوا جزيرة العرب من (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام) للسيد أحمد زيني دحلان مفتي الحرمين الشريفين المتوفى ١٣٠٤ وتتبع أحوالهم بالإنصاف ترى أن الشائعات من أضاليلهم ليست أكذوبة مخترعة من الطامعين للسياسة أو لأغراض تافهة رغما على أنف مؤسس التبليغ وأنصارهم فتثبت رأيك كما قال الشاعر:

خدما تراه ودع شيئا سمعت به * في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل انتهى.

اَلبَحْرُ الرَّائِقْ

شَرْحُ

كَنْزِ الدَّقَائِقْ

للعلامة زين الدين ابن نجيم الحنفي
رحمه الله تعالى

نبذة من الجزء الخامس من كتاب البحر الرائق

بِسْـــمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وأما الوثنية فلقوله تعالى ﴿**وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ**﴾ البقرة: ٢٢١) والمراد بالمجوس عبدة النار وذكر الكتابية بعدها دليل على أن المجوس لا كتاب لهم والنص عام يدخل تحته سائر المشركات وفي فتح القدير: ويدخل في عبدة الأوثان عبدة الشمس والنجوم والصور التي استحسنوها والمعطلة والزنادقة والباطنية والإباحية وفي شرح الوجيز: وكل مذهب يكفر به معتقده فهو يحرم نكاحها لأن اسم المشرك يتناولهم جميعا انتهى وينبغي أن من اعتقد مذهبا يكفر به إن كان قبل تقدم الاعتقاد الصحيح فهو مشرك وأن طرأ عليه فهو مرتد كما لا يخفى وقال الرستغفني: لا تجوز المناكحة بين أهل السنة والاعتزال فمقتضى الوجه حل مناكحتهم لأن الحق عدم تكفير أهل القبلة.

(والصابئة) أي وحل تزوجها أطلقه وقيده في الهداية بقوله إن كانوا يؤمنون بدين نبي ويقرون بكتاب الله لأنهم من أهل الكتاب وإن كانوا يعبدون الكواكب ولا كتاب لهم لم تجز مناكحتهم لأنهم مشركون والخلاف المنقول فيه محمول على اشتباه مذهبهم فكل أجاب على ما وقع عنده وعلى هذا حل ذبيحتهم انتهى. وصححه أيضا في غاية البيان وغيره من أنه لا خلاف بينهم في الحقيقة لكن ظاهر الهداية أن منع مناكحتهم مقيد بقيدين عبادة الكواكب وعدم الكتاب فلو كانوا يعبدون الكواكب ولهم كتاب تجوز مناكحتهم وهو قول بعض المشايخ. زعموا أن عبادة الكواكب لا تخرجهم عن كونهم أهل الكتاب والصحيح أنهم إن كانوا يعبدونها حقيقة فليسوا أهل كتاب وإن كانوا يعظمونها كتعظيم المسلمين للكعبة فهم أهل كتاب كذا في المجتبى.

باب أحكام المرتدين

شروع في بيان الكفر الطارئ بعد الأصلي والمرتد في اللغة الراجع مطلقا، وفي الشريعة الراجع عن دين الإسلام كما في فتح القدير، وفي البدائع: ركن الردة إجراء كلمة الكفر على اللسان والعياذ بالله بعد وجود الإيمان وشرائط صحتها العقل فلا تصح ردة المجنون ولا الصبي الذي لا يعقل وأما من جنونه متقطع فإن ارتد حال الجنون لم يصح وإن ارتد حال إفاقته صحت وكذا لا تصح ردة السكران الذاهب العقل والبلوغ ليس بشرط لصحتها من الصبي عندهما خلافا لأبي يوسف وكذا المذكورة ليست شرطا ومنها الطوع فلا تصح ردة المكره عليها انتهى والإيمان: التصديق بجميع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى مما علم مجيئه به ضرورة وهل هو فقط أو هو مع الإقرار قولان فأكثر الحنفية على الثاني والمحققون على الأول والإقرار شرط إجراء أحكام الدنيا بعد الاتفاق على أنه يعتقد متى طولب به أتى به فإن طولب به فلم يقر فهو كفر عناد، والكفر: لغة الستر وشرعا تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم في شيء مما يثبت عنه، ادعاؤه ضرورة. وفي المسايرة: ولاعتبار التعظيم المنافي للاستخفاف. كفر الحنفية بألفاظ كثيرة وأفعال تصدر من المتهتكين لدلالتها على الاستخفاف بالدين كالصلاة بلا وضوء عمدا، بل بالمواظبة على ترك سنة استخفافا بها، يسبب أنه إنما فعلها النبي صلى الله عليه وسلم زيادة أو استقباحها، كمن استقبح من آخر جعل بعض العمامة تحت حلقه أو إحفاء شاربه انتهى وفي فتح القدير: ومن هزل بلفظ كفر ارتد وإن لم يعتقده للاستخفاف فهو ككفر العناد والألفاظ التي يكفر بها تعرف في الفتاوى انتهى فهذا وما قبله صريح في أن ألفاظ التكفير المعروفة في الفتاوى موجبة للردة عن الإسلام حقيقة. وفي البزازية: ويحكى عن بعض من لا سلف له أنه كان يقول ما ذكر في الفتاوى أنه

يكفر بكذا وكذا فذاك للتخويف والتهويل لا لحقيقة الكفر وهذا كلام باطل إلى آخره. والحق أن ما صح عن المجتهد فهو على حقيقته وأما ما ثبت عن غيره فلا يفتى به في مثل التكفير ولذا قال في فتح القدير من باب البغاة: إن الذي صح عن المجتهدين في الخوارج عدم تكفيرهم ويقع في كلام أهل المذهب تكفير كثير لكن ليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون بل من غيرهم ولا عبرة بغير الفقهاء انتهى. فيكفر إذا وصف الله تعالى بما لا يليق به أو سخر باسم من أسمائه أو بأمر من أوامره أو أنكر وعده أو وعيده أو جعل له شريكا أو ولدا أو زوجة أو نسبه إلى الجهل أو العجز أو النقص واختلفوا في قوله فلان في عيني كاليهودي في عين الله فكفره الجمهور وقيل لا إن عنى به استقباح فعله وقيل يكفر إن عنى الجارحة لا القدرة والأصح مذهب المتقدمين في المتشابه كاليد واختلفوا في جواز أن يقال بين يدي الله ويكفر بقوله يجوز أن يفعل الله فعلا لا حكمة فيه وبإثبات المكان لله تعالى فإن قال الله في السماء فإن قصد حكاية ما جاء في ظاهر الأخبار لا يكفر وإن أراد المكان كفر وإن لم يكن له نية كفر عند الأكثر وهو الأصح وعليه الفتوى ويكفر إن اعتقد أن الله تعالى يرضى بالكفر وبقوله لو أنصفني الله تعالى يوم القيامة انتصفت منك أو إن قضى الله يوم القيامة أو إذا أنصف الله وبقوله بارك الله في كذبك وبقوله الله جلس للإنصاف أو قام له وبقوله هذا لا يمرض هذا ممن نسيه الله أو منسي الله على الأصح وبوصفه تعالى بالفوق أو بالتحت وبظنه أن الجنة ما فيها للفناء عند البعض وبقوله: لامرأته أنت أحب إلي من الله وقيل لا وبقوله لا أخاف الله أو لا أخشاه عند البعض ومحل الاختلاف عند عدم قصد الاستهزاء وبقولها: لا، جوابا لقوله: أما تعرفين الله على الظاهر؟ وبقوله: لا أريد اليمين بالله وإنما أريد اليمين بالطلاق أو بالعتاق. عند البعض خلافا للعامة وهو الأصح. وبقوله: رأيت الله في المنام وبقوله: المعدوم ليس بمعلوم الله تعالى وبقوله: الظالم، أنا أفعل بغير تقدير الله تعالى وبإدخاله الكاف في آخر الله عند ندائه من اسمه عبد الله وإن كان عالما على

الأصح وبتصغير الخالق عمدا عالما وبقوله: ليتني لم أسلم إلى هذا الوقت حتى أرث أبي وبقوله: إن كنت فعلت كذا أمس، فهو كافر وهو يعلم أنه قد فعله إذا كان عنده أنه يكفر به وعليه الفتوى وبقوله: الله يعلم إني فعلت كذا وهو يعلم أنه ما فعل عند العامة إن كان اختيارا لا مخافة وبقوله: إن كنت قلته فأنا كافر وهو يعلم أنه قاله وبقوله: أنا برئ من الله لولا و لم يتم تعليقه خلافا للبعض، قياسا على أنت طالق ثلاثا لولا لم يقع، وبقولها: نعم جوابا لقوله: أتعلمين الغيب؟ وبتزوجه بشهادة الله ورسوله وبقوله: فلان يموت بهذا المرض عند البعض وبقوله: عند رقاء الهامة يموت أحد عند البعض والأصح عدمه وبقوله: عند رؤية الدائرة التي تكون حول القمر يكون مطر مدعيا علم الغيب وبرجوعه من سفر عند سماع صياح العقعق عند البعض وبإتيان الكاهن وتصديقه وبقوله: أنا أعلم المسروقات وبقوله: أنا أخبر عن إخبار الجن إياي وبعدم الإقرار ببعض الأنبياء عليهم السلام أو عيبه نبيا بشيء أو عدم الرضا بسنة من سنن المرسلين وبقوله: لا أعلم أن آدم عليه السلام نبي أو لا ولو قال: آمنت بجميع الأنبياء عليهم السلام وبعدم معرفة أن محمدا صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء عند البعض وبنسبته نبيا إلى الفواحش كعزمه على الزنا وقيل لا وبقوله: أن الأنبياء عصوا وإن كل معصية كفر وبقوله: لم تعص الأنبياء حال النبوة وقبلها لرده النصوص. لا بقوله: لا أقبل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في الإمهال فكيف أقبلها منك ولا بإنكاره نبوة الخضر وذي الكفل عليهما لعدم الإجماع على نبوتهما ويكفر من أراد بغض النبي صلى الله عليه وسلم بقلبه وبقوله لو كان فلان نبيا لا أومن به. لا بقوله: لو كان صهري رسول الله لا أأتمر بأمره ويكفر بقوله: إن كان ما قال الأنبياء حقا أو صدقا وبقوله: أنا رسول الله وبطلبه المعجزة حين ادعى رجل الرسالة وقيل إذا أراد إظهار عجزه لا يكفر واختلف في تصغيره شعر النبي صلى الله عليه وسلم إلا إذا أراد الإهانة فيكفر. أما إذا أراد التعظيم فلا وبقوله: لا أدري أكان النبي صلى الله عليه وسلم إنسيا أو جنيا وبشتمه رجلا اسمه محمد وكنيته أبو القاسم

ذاكرا للنبي صلى الله عليه وسلم عند البعض وبشتمه محمدا صلى الله عليه وسلم حين أكره على شتمه، قائلا قصدته وبقوله: جن النبي صلى الله عليه وسلم ساعة. لا بقوله: أغمي عليه واختلفوا فيمن قال: لو لم يأكل آدم عليه الصلاة والسلام الحنطة ما صرنا أشقياء وبرده حديثا مرويا إن كان متواترا أو قال على وجه الاستخفاف سمعناه كثيرا وبتمنيه أن لا يكون بعض الأنبياء نبيا مريدا به الاستخفاف به أو عداوته. لا بقوله: لو لم يبعث الله نبيا لم يكن خارجا عن الحكمة وبقوله: أنا لا أحبه حين قيل له أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب القرع وقيل إن كان على وجه الإهانة وبقولها: نعم، حين قال: لها لو شهد عندك الأنبياء والملائكة لا تصدقيهم، حين قالت له لا تكذب وباستخفافه بسنة من السنن وبقوله: لا أدري أن النبي في القبر مؤمن أم كافر وبقوله: ما كان علينا نعمة من النبي عليه السلام لأن البعثة من أعظم النعم وبقذفه عائشة رضي الله عنها من نسائه صلى الله عليه وسلم فقط وبإنكاره صحبة أبي بكر رضي الله عنه بخلاف غيره وبإنكاره إمامة أبي بكر رضي الله عنه على الأصح كإنكاره خلافة عمر رضي الله عنه على الأصح. لا بقوله: لولا نبينا لم يخلق آدم عليه السلام وهو خطأ ويكفر بقوله: لو أمرني الله بكذا لم أفعل ولو صارت القبلة إلى هذه الجهة ما صليت أو لو أعطاني الله الجنة لا أريدها دونك أو لا أدخلها مع فلان أو لو أعطاني الله الجنة لأجلك أو لأجل هذا العمل لا أريدها وأريد رؤيته وبقوله: لا أترك النقد لأجل النسيئة جوابا لقوله: دع الدنيا للآخرة وبقوله: لو أمرني الله بالزكاة أكثر من خمسة دراهم أو بالصوم أكثر من شهر لا أفعل وبقوله: الإيمان يزيد وينقص[١] وبقوله: لا أدري الكافر في الجنة أو في النار أو لا أدري أين يصير الكافر ويقتل بقوله: أنا ألعن المذهبين، جوابا لقوله على أي المذهبين أنت أبي حنيفة أو الشافعي وإن تاب عزر ويكفر بإنكاره أصل الوتر

---

(١) من قال كمال وصفة الإيمان يزيد وينقص لا يكفر بل يؤجر

والأضحية وباستحلال وطء الحائض. لا بقوله: ليس لي موضع شبر في الجنة لاستقلاله العمل ولا بقوله: لا تكتب الحفظة على هذا الرجل ولا بقوله: هذا مكان لا إله فيه ولا رسول إلا إذا قصد به إنكار الدين ولا بقول: المرأة لا أتعلم ولا أصلي، جوابا لقول الزوج تعلمي ولا بإنكار العشر أو الخراج ولا يفسق خصوصا في هذا الزمان ولا بقوله: من أكل حراما فقد أكل ما رزقه الله، لكنه أثم ويكفر باستحلاله حراما علمت حرمته من الدين من غير ضرورة لا بفعله من غير استحلال خلافا لما عن محمد رحمه الله في أكل الخنزير ولما عن أبي حفص في الخمر والفتوى على الأول ويكفر بقوله: للقبيح أنه حسن وبقوله: لغيره رؤيتي إياك كرؤية ملك الموت عند البعض خلافا للأكثر وقيل به إن قاله لعداوته لا لكراهة الموت وبقوله: لا أسمع شهادة فلان وإن كان جبريل أو ميكائيل عليهما السلام وبعيبه ملكا من الملائكة أو الاستخفاف به لا بقوله: أنا أظن أن ملك الموت توفي ولا يقبض روحي مجازا عن طول عمره إلا أن يعني به العجز عن توفيه ويكفر إذا أنكر آية من القرآن أو سخر بآية منه إلا المعوذتين ففي إنكارهما اختلاف والصحيح كفره وقيل لا وقيل إن كان عاميا يكفره وإن كان عالما لا وبوضع رجله على المصحف عند الحلف مستخفا وبقراءة القرآن على ضرب الدف أو القضيب وباعتقاد أن القرآن مخلوق حقيقة والمزاح بالقرآن كقوله (**وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ** * القيامة: ٢٩) أو ملأ قدحا وجاء به وقال (**وَكَأْساً دِهَاقاً** * النبأ: ٣٤) أو قال عند الكيل أو الوزن (**وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ** * المطففين: ٣) وقيل إن كان جاهلا لا يكفر وبقوله القرآن أعجمي ولو قال فيه كلمة أعجمية ففي أمره نظر وفي تسميته آلة الفساد كراسته وبقراءة القارئ (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَبِّكُمْ** * النساء: ١٧٤) مريدا مدرسا اسمه إبراهيم وبنظمه القرآن بالفارسية وببراءته من القرآن لأمر خافه. لكن قال الوبري أخاف كفره وبإنكاره القراءة في الصلاة وقيل لا وبقول المريض لا أصلي أبدا جوابا لمن قال له صل وقيل لا وكذا قوله: لا أصلي حين أمر بها وقيل إنما

يكفر إذا قصد نفى الوجوب وبقول: العبد، لا أصلي فإن الثواب يكون للمولى وبقوله: جوابا لصل، إن الله نقص من مالي فأنا أنقص من حقه وبقوله مصلي رمضان فقط إن الصلاة في رمضان تساوي سبعين صلاة وبترك الصلاة متعمدا غير ناو للقضاء وغير خائف من العقاب وبصلاته لغير القبلة متعمدا أو في ثوب نجس أو بغير وضوء عمدا.

والمأخوذ به الكفر في الأخير فقط وقيل لا في الكل ومحل الإختلاف إذا لم يكن استخفافا بالدين لا بسجوده بغير طهارة ويكفر بإتيانه عيد المشركين مع ترك الصلاة تعظيما لهم وبقوله لا أؤدي الزكاة بعد الأمر بأدائها على قول ولو تمنى أن لا يفرض رمضان فالصواب أنه على نيته ويكفر بقوله: جاء الشهر الثقيل إلا إذا أراد التعب لنفسه وباستهانته للشهور المفضلة وبقوله: إن هذه الطاعات جعلها الله تعالى عذابا علينا بلا تأويل أو قال: لو لم يفرض الله هذه الطاعات لكان خيرا لنا وبالاستهزاء بالأذكار وبتسميته عند أكل الحرام أو فعل حرام كالزنا واختلف في تحميده عند الفراغ منه وبقوله: لا أقول عند أمره بقوله لا إله إلا الله وقيل لا إن عنى أني لا أقول بأمرك ولا يكفر المريض إذا قيل له قل لا إله إلا الله فقال لا أقول ويكفر بالاستهزاء بالأذان لا بالمؤذن وبإنكاره القيامة أو البعث أو الجنة أو النار أو الميزان أو الحساب أو الصراط أو الصحائف المكتوب فيها أعمال العباد. لا إذا أنكر بعث رجل بعينه واختلف في تفكير امرأة لا تعرف أن اليهود يبعثون وسئل أبو يوسف رحمه الله عن امرأة لا تعرف أن الكفار يدخلون النار فقال تعلم ولا تكفر ويكفر بإنكاره رؤية الله عز وجل بعد دخول الجنة وبإنكاره عذاب القبر وبقوله: لا أعلم أن اليهود والنصارى إذا بعثوا هل يعذبون بالنار وبإنكار حشر بني آدم أو غيرهم ولا بقوله إن المثاب والمعاقب الروح فقط ولا بقوله سلمتها إلى من لا يمنع السارق جوابا لمن وضع ثيابه وقال سلمتها إلى الله ويخاف الكفر على من قال للآمر بالمعروف غوغاء على وجه الرد والإنكار ويكفر بقوله له فضولي ويخاف عليه بقوله أيهما

أسرع وصولا جوابا لمن قال له حلال واحد أحب إليك أم حرامان ويكفر بتصدقه على فقير بشيء حرام يرجو الثواب وبدعاء الفقير له عالما به وبتأمين المعطي وبقوله الحرام أحب إلي جوابا لقول القائل له كل من الحلال، لا بقوله أني أحتاج إلى كثرة المال والحلال والحرام عندي سواء ولا بقوله لحرام هذا حلال من غير أن يعتقده فلا يكفر السوقي بقوله هذا حلال للحرام ترويجا لشرائه والأصل أن من اعتقد الحرام حلالا فإن كان حراما لغيره كمال الغير لا يكفر وإن كان لعينه فإن كان دليله قطعيا كفر وإلا فلا وقيل التفصيل في العالم أما الجاهل فلا يفرق بين الحلال والحرام لعينه ولغيره وإنما الفرق في حقه إنما كان قطعيا كفر به وإلا فلا فيكفر إذا قال الخمر ليس بحرام وقيده بعضهم بما إذا كان يعلم حرمتها، لا بقوله الخمر حرام ولكن ليست هذه التي تزعمون أنها حرام ويكفر من قال أن حرمة الخمر لم تثبت بالقرآن ومن زعم إن الصغائر والكبائر حلال وباستحلاله الجماع للحائض لا في الاستبراء وقيل لا في الأول وهو الصحيح ولا باستحلال سؤر كلب أو ريع أرض غصب وباستحلال اللواطة إن علم حرمته من الدين وبقوله هي لي حلال حين نهى عن تقبيله أجنبية وبقوله الشريعة كلها تلبيس أو حيل إن قال في كل الشرائع لا فيما يرجع إلى المعاملات مما تصح فيه الحيل الشرعية وقيل يكفر في الأول مطلقا ويخاف عليه الكفر إذا شتم عالما أو فقيها من غير سبب ويكفر بقوله لعالم ذكر الحمار في أست علمك مريدا به علم الدين وبجلوسه على مكان مرتفع والتشبه بالمذكرين ومعه جماعة يسألون منه المسائل ويضحكون منه ثم يضربونه بالمخراق وكذا يكفر الجميع لاستخفافهم بالشرع وكذا لو لم يجلس على مكان مرتفع ولكن يستهزئ بالمذكرين ويتمشى والقوم يضحكون وبإلقاء الفتوى على الأرض حين أتي بها خصمه وبقوله لا تذهب وإن ذهبت تطلق امرأتك استهزاءً بالعلم والعلماء جوابا لمن قال إلى مجلس العلم جوابا لقوله أين تذهب؟ وبقوله قصعة من ثريد خير من العلم لا بقوله خير من الله لإرادته أنها نعمة من الله والأول لا تأويل له سوى الاستخفاف بالعلم وبقول

المريض المشتد مرضه إن شئت توفني مسلما وإن شئت كافرا ويقول المبتلى أخذت مالي وأخذت ولدي وأخذت كذا وكذا فماذا تفعل وماذا بقي وبقوله عمدا لا جوابا لمن قال له ألست مسلما حين ضرب عبده أو ولده ضربا شديد إلا إن غلط أو قصد الجواب وبقول الزوج ليس لي حمية ولا دين الإسلام حين قالت له امرأته ذلك وبقوله لمسلم يا كافر عند البعض ولو أحد الزوجين للآخر والمختار للفتوى أن يكفر إن اعتقده كافرا لا إن أراد شتمه وبقوله لبيك جوابا لمن قال يا كافر يا يهودي يا مجوسي وبقوله أنا ملحد لأن الملحد كافر ولو قال ما علمته لا يعذر وبقول المعتذر لغيره كنت كافرا فأسلمت عند بعضهم وقيل لا وبقوله كنت مجوسيا أسلمت الآن وبنسيان العاصي التوبة وتحقير الذنب وعدم رؤية العقوبة بالذنب وعدم رؤية المعاصي قبيحة وبعدم رؤية الطاعة حسنا وبعدم رؤيته الثواب على الطاعة وبعدم رؤيته وجوب الطاعات وبقوله كفرت حين تكلم بكلمة زعم القوم أنها كفر وليست بكفر فقيل له كفرت وطلقت زوجتك وتكفر المرأة إذا تكلمت بالكفر لقصد أن تحرم على زوجها والإيمان مستقر في قلبها وقولها أصير كافرة حتى أتخلص من الزوج ومن قصد الكفر ساعة أو يوما فهو كافر في جميع العمر وبتمنيه الكفر إن لو كان كافرا فأسلم حين أسلم كافرا فأعطي شيئا وبتمنيه إن لم يحرم الظلم والزنا والقتل بغير حق وكل حرام لا يكون حلالا في وقت بخلاف الخمر ومناكحة المحارم وبتمنيه أن لو كان نصرانيا حتى يتزوج نصرانية سمينة رآها وبوضع قلنسوة المجوسي على رأسه على الصحيح إلا لضرورة دفع الحر أو البرد وبشد الزنار في وسطه إلا إذا فعل ذلك خديعة في الحرب وطليعة للمسلمين وبقول معلم صبيان اليهود خير من المسلمين بكثير فإنهم يقضون حقوق معلمي صبيانهم وبقوله المجوسية خير مما أنا فيه يعني فعله وبقوله النصرانية خير من المجوسية لا بقوله المجوسية شر من النصرانية وبقوله النصرانية خير من اليهودية وينبغي أن يقول النصرانية شر من اليهودية وبقوله لمعاملة الكفر خير مما أنت تفعل عند بعضهم مطلقا وقيده الفقيه أبو الليث بأن يقصد

تحسين الكفر لا تقبيح معاملته وبخروجه إلى نيروز المجوس والموافقة معهم فيما يفعلون في ذلك اليوم وبشرائه يوم النيروز شيئا لم يكن يشتريه قبل ذلك تعظيما للنيروز لا للأكل والشرب وبإهدائه ذلك اليوم للمشركين ولو بيضة تعظيما لذلك اليوم لا بإجابته دعوة مجوسي، حلق رأس ولده وبتحسين أمر الكفار اتفاقا حتى قالوا لو قال ترك الكلام عند أكل الطعام من المجوسي حسن أو ترك المضاجعة حالة الحيض منهم حسن فهو كافر وبذبحه شيئا في وجه إنسان وقت الخلعة أو للقادم من الحج أو الغزو والمذبوح ميتة وقيل لا يكفر وقوله لسلطان زماننا عادل وقيل لا وعلى هذا الاختلاف قول الخطباء في ألقاب السلطان العادل الأعظم مالك رقاب الأمم سلطان أرض الله مالك بلاد الله وبقوله لا تقل للسلطان هذا حين عطس السلطان فقال له رجل يرحمك الله وبسقي ولده الخمر فجاء أقرباؤه ونثروا الدراهم والسكر كفر الكل وكذا لو لم ينثروا الدراهم ولكنهم قالوا مبارك واختلفوا فيما إذا قال أحب الخمر فلا أصبر عنها ويكفر بتلقين كلمة الكفر ليتكلم بها ولو على وجه اللعب وبأمره امرأة بالارتداد لتبين من زوجها وبالإفتاء بذلك وإن لم تكفر المرأة بناء على أن الرضا بكفر غيره كفر وقيل لا وبعزمه على أن يأمر بالكفر وبقوله لمن ينازعه أفعل كل يوم عشرة أمثالك من الطين أو لم يقل من الطين قاصدا من حيث الخلقة لا من حيث بيان صنعته ولا بقوله قد خلقت هذه الشجرة لأنه يراد به عادة الفرس حتى لو عنى به حقيقة الخلق يكفر ولا بقوله لغيره ينبغي لك أن تسجد لي سجدة لأن المراد منه الشكر والمنة ويفكر بقوله أي شي أصنع إذا لزمني الكفر جوابا لمن قال له أي شيء تصنع قد لزمك الكفر وبإبداله حرف أو آية من القرآن عمدا وباعتقاد أن الخراج ملك السلطان لا بقوله أنا فرعون أو إبليس إلا إذا قال اعتقادي كاعتقاد فرعون ومن حسن كلام أهل الأهواء وقال معنوي أو كلام له معنى صحيح إن كان ذلك كفرا من القائل كفر المحسن وكذا من حسن رسوم الكفرة واختلفوا في تكفير من قال أن إبراهيم بن أدهم رأوه بالبصرة يوم التروية وفي ذلك اليوم بمكة ومسألة

ثبوت النسب بين المشرقي وبين المغربية تؤيد القائل بعدمه ويخاف الكفر على من قال بحياتي وحياتك وأجمعوا على أن من شك في إيمانه فهو كافر وهو أن يكون مصدقا لكن يشك أن هذا التصديق إيمان أو كفر واختلفوا في أنا مؤمن إن شاء الله هذا كله حاصل ما في التتارخانية من الفصول من باب ألفاظ التكفير سوى الفارسي وفي الخلاصة يكفر بقوله أنا برئ من الثواب والعقاب وبقوله لو عاقبني الله مع ما بي من المرض ومشقة الولد فقد ظلمني وبشد المرأة حبلا في وسطها وقالت هذا زنار ومن أبغض عالما من غير سبب ظاهر خيف عليه الكفر ولو صغر الفقيه أو العلوي قاصدا الاستخفاف بالدين كفر، لا إن لم يقصده والسجود للجبابرة كفر إن أراد به العبادة لا إن أراد به التحية على قول الأكثر.

وفي البزارية: قال علماؤنا من قال أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر[١] ومن قال بخلق القرآن فهو كافر ومن قال أن الإيمان مخلوق فهو كافر كذا في كثير من

(١) يعني به حاضرة دائمة، لو قال: تحضر وتعلم حين يستمد لا يكفر، إذ في الحديث القدسي (**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطيته**...) رواه البخاري قال الإمام الغزالي من يستمد به في حياته يستمد به بعد مماته قال السيوطي الأحاديث والآثار تدل على أن الزائر متى جاء إلى المزور علم به المزور وسمع كلامه وأنس به ورد عليه وهذا عام في حق الشهداء وغيرهم ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم شرع لأمته أن يسلموا على أهل القبور سلام من يخاطبون ومن يسمع ويعقل قال ابن القيم الجوزية: للروح من سرعة الحركة والانتقال الذي كلمح البصر ما يقتضي عروجها من القبر إلى السماء في أدنى لحظة وأيضا نقل عن الزيلعي: ويجوز التوسل إلى الله تعالى والاستعانة بالأنبياء والصالحين بعد موتهم لأن المعجزة والكرامة لا تنقطع بموتهم ولا ينكر الكرامة ولو بعد الموت إلا رافضي وعن الأجهوري الولي في الدنيا كالسيف في غمده فإذا مات تجرد عنه فيكون أقوى في التصرف كذا نقل عن نور الهداية لأبي علي السنجي وعن البريقة المحمودية في شرح الطريقة المحمدية. قال يوسف بن إسماعيل النبهاني في كتاب جامع كرامات الأولياء قال التاج السبكي ابن تقي الدين السبكي كان عمر رضي الله عنه قد أمر سارية على جيش وجهزه على بلاد فارس فاشتد على عسكره الحال على باب نهاوند وهو يحصر بها وكثرت جموع الأعداء كاد المسلمون ينهزمون وعمر رضي الله عنه بالمدينة فصعد المنبر وخطب ثم استغاث في أثناء خطبته بأعلى صوته يا سارية الجبل من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم فأسمع الله عز وجل سارية وجيوشه أجمعين وهم على باب نهاوند صوت غير فلجئوا إلى الجبل وقالوا هذا صوت أمير المؤمنين فنجوا وانتصروا ثم تبين الحال بالآخرة

الفتاوى وهو محمول على أنه بمعنى هداية الرب وأما فعل العبد فهو مخلوق وإذا أخذ أحد المكس مقاطعة فقالوا له مبارك كفروا ووقعت بسراي الجديدة واقعة وهي أن واحدا قاطع على مال معلوم احتسابا بها أعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فضربوا على بابه طبولات وبوقات نادوا مبارك باد لمقاطعته الاحتساب وكان إمام الجامع فامتنعنا من الصلاة خلفه حتى عرض على نفسه الإسلام أخذا من هذه المسألة قال لرجل يا أحمر قال خلقني الله من سويق التفاح وخلقك من طين كفر قال واحد من الفسقة لو وضعت هذه الخمرة بين يدي جبريل عليه السلام لرفعها على جناحه يكفر ولا يكفر بقوله يا حاضر يا ناظر ولا بقوله درويش درويشان والقول بالكفر بكل منهما باطل وفي جامع الفصولين روى الطحاوي عن أصحابنا لا يخرج الرجل من الإيمان إلا جحود ما أدخله فيه ثم ما تيقن أنه ردة يحكم بها به وما يشك أنه ردة لا يحكم بها إذ الإسلام الثابت لا يزول بشك مع أن الإسلام يعلو وينبغي للعالم إذا رفع إليه هذا أن لا يبادر بتكفير أهل الإسلام مع أنه يقضي بصحة إسلام المكره أقول قدمت هذه لتصير ميزانا فيما نقلته في هذا الفصل من المسائل فإنه قد ذكر في بعضها أنه كفر مع أنه لا يكفر على قياس هذه المقدمة فليتأمل انتهى.

وفي الفتاوى الصغرى: الكفر شيء عظيم فلا أجعل المؤمن كافرا متى وجدت رواية أنه لا يكفر انتهى وقال قبله وفي الجامع الأصغر: إذا أطلق الرجل كلمة الكفر عمدا لكنه لم يعتقد الكفر، قال بعض أصحابنا لا يكفر، لأن الكفر يتعلق بالضمير ولم يعقد الضمير على الكفر وقال بعضهم: يكفر وهو الصحيح عندي لأنه استخف بدينه انتهى.

وفي الخلاصة وغيرها: إذا كان في المسألة وجوه توجب التكفير ووجه واحد يمنع التكفير فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير تحسينا للظن بالمسلم، زاد في البزازية: إلا إذا صرح بإرادة موجب الكفر فلا ينفعه التأويل حينئذ وفي التتارخانية: لا يكفر بالمحتمل لأن الكفر نهاية في العقوبة فيستدعى نهاية في الجناية

ومع الاحتمال لا نهاية انتهى. والحاصل: أن من تكلم بكلمة الكفر هازلا أو لاعبا كفر عند الكل ولا اعتبار باعتقاده كما صرح به قاضيخان في فتاواه: ومن تكلم بها مخطأ أو مكرها لا يكفر عند الكل ومن تكلم بها عالما عامدا كفر عند الكل ومن تكلم بها اختيارا جاهلا بأنها كفر ففيه اختلاف والذي تحرر أنه لا يفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان في كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة فعلى هذا فأكثر ألفاظ التكفير المذكورة لا يفتى بالتكفير بها ولقد ألزمت نفسي أن لا أفتي بشيء منها وأما مسألة تكفير أهل البدع المذكورة في الفتاوى فقد تركتها عمدا لأن محلها أصول الدين وقد أوضحها المحقق في المسايرة (قوله يعرض الإسلام على المرتد) أي يعرضه الإمام والقاضي وهو مروي عن عمر رضي الله عنه لأن رجاء العود إلى الإسلام ثابت لاحتمال إن الردة كانت باعتراض شبهة لم يبين صفته وظاهر المذهب استحبابه فقط ولا يجب لأن الدعوة قد بلغته وعرض الإسلام هو الدعوة إليه ودعوة من بلغته الدعوى غير واجبة ولم يذكر تكرار العرض عليه وفي الخانية يعرض عليه الإسلام في كل يوم من أيام التأجيل (قوله وتكشف شبهته) بيان لفائدة العرض أي فإن كان له شبهة أبداها كشفت عنه لأنه عساه اعترضت له شبهة فتزاح عنه (قوله ويحبس ثلاثة أيام فإن أسلم وإلا قتل) لأنها مدة ضربت لإبداء الأعذار وهو مروي عن عمر رضي الله عنه أطلقه فأفاد أنه يمهل وإن لم يطلبه وهو رواية وظاهر الرواية أنه لا يمهل بدون استمهال بل يقتل من ساعته كما في الجامع الصغير إلا إذا كان الإمام يرجو إسلامه كما في البدائع وإذا استمهل فظاهر المبسوط الوجوب فإنه قال إذا طلب التأجيل كان على الإمام أن يمهله وعن الإمام الاستحباب مطلقا وأفاد بإطلاقه أنه يفعل به ذلك إذا ارتد ثانيا إلا أنه إذا تاب ضربه الإمام وخلى سبيله وأن ارتد ثالثا تاب ضربه الإمام ضربا وجيعا وحبسه حتى تظهر عليه التوبة ويرى أنه مسلم مخلص ثم خلى سبيله فإن عاد فعل به هكذا كذا في التتارخانية وأفاد بإطلاقه أنه لا فرق بين ردة وردة من أنه إذا أسلم ويستثنى منه

مسائل الأولى الردة بسبه صلى الله عليه وسلم. قال في فتح القدير: كل من أبغض رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلبه كان مرتدا فالساب بطريق أولى ثم يقتل حدا عندنا فلا تقبل توبته في إسقاطه القتل قالوا هذا مذهب أهل الكوفة ومالك ونقل عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولا فرق بين أن يجيء تائبا من نفسه أو شهد عليه بذلك بخلاف غيره من المكفرات فإن الإنكار فيها توبة فلا تعمل الشهادة معه حتى قالوا يقتل وإن سب سكران ولا يعفى عنه ولابد من تقييده بما إذا كان سكره بسبب محظور باشره مختارا بلا إكراه وإلا فهو كالمجنون قال الخطابي: لا أعلم أحدا خالف في وجوب قتله وأما مثله في حقه تعالى فتقبل توبته في إسقاط قتله انتهى. وعلله البزازي: بأنه حق تعلق به حق العبد فلا يسقط بالتوبة كسائر حقوق الآدميين وكحد القذف لا يزول بالتوبة وصرح بأن سب واحد من الأنبياء كذلك وقوله في فتح القدير في إسقاط القتل يفيد أن توبته مقبولة عند الله تعالى وهو مصرح به الثانية الردة بسب الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقد صرح في الخلاصة والبزازية: بأن الرافضي إذا سب الشيخين وطعن فيهما كفر وإن فضل عليا عليهما فمبتدع ولم يتكلما على عدم قبول توبته وفي الجوهرة: من سب الشيخين أو طعن فيهما كفر ويجب قتله ثم إن رجع وتاب وجدد الإسلام هل تقبل توبته أم لا؟ قال الصدر الشهيد: لا تقبل توبته وإسلامه ونقتله وبه أخذ الفقيه أبو الليث السمرقندي وأبو نصر الدبوسي وهو المختار للفتوى انتهى.

وحيث لا تقبل توبته علم أن سب الشيخين كسب النبي صلى الله عليه وسلم فلا يفيد الإنكار مع البينة كما تقدم عن فتح القدير لأنا نجعل إنكار الردة توبة إن كانت مقبولة كما لا يخفى الثالثة لا تقبل توبة الزنديق في ظاهر المذهب وهو من لا يتدين بدين وأما من يبطن الكفر والعياذ بالله تعالى ويظهر الإسلام فهو المنافق ويجب أن يكون حكمه في عدم قبولنا توبته كالزنديق لأن ذلك في الزنديق لعدم الاطمئنان إلى ما يظهر من التوبة إذا كان قد يخفى كفره الذي هو عدم اعتقاده دينا والمنافق

مثله في الإخفاء وعلى هذا فطريق العلم بحاله إما بأن يعثر بعض الناس عليه أو يسره إلى من أمن إليه والحق إن الذي يقتل ولا تقبل توبته هو المنافق فالزنديق إن كان حكمه ذلك فيجب أن يكون مبطنا كفره الذي هو عدم التدين بدين ويظهر تدينه بالإسلام أو غيره إلى أن ظفرنا به وهو عربي وإلا لو فرضناه مظهرا لذلك حتى تاب يجيب أن لا يقتل وتقبل توبته كسائر الكفار المظهرين لكفرهم إذا أظهروا التوبة وكذا من علم أنه ينكر في الباطن بعض الضروريات كحرمة الخمر ويظهر اعتقاد حرمته كذا في فتح القدير وفي الخانية قالوا إن جاء الزنديق قبل أن يؤخذ فأقر أنه زنديق فتاب عن ذلك تقبل توبته وإن أخذ ثم تاب لم تقبل توبته ويقتل انتهى. وتفصيل حسن موافق لما بحثه في فتح القدير هو الرابعة توبة الساحر جعله في فتح القدير كالزنديق لا تقبل توبته وفي الخانية من كتاب الحظر والإباحة الساحر إذا تاب فهو على وجوه إن كان يعتقد نفسه خالقا لما يفعل فإن تاب عن ذلك فقال خالق كل شيء هو الله تعالى وتبرأ عما كان يقول تقبل توبته ولا يقتل وإن كان الساحر يستعمل السحر بالتجربة والامتحان ولا يعتقد لذلك أثرا لا يقتل لأنه ليس بكافر وساحر يجحد السحر ولا يدري كيف يفعل ولا يقر به قالوا لا يستتاب بل يقتل إذا ثبت أنه يستعمل السحر وفي بعض المواضع ذكر أن الاستتابة أحوط وقال الفقيه أبو الليث: إذا تاب الساحر قبل أن يؤخذ تقبل توبته ولا يقتل وإن أخذ ثم تاب لم تقبل توبته ويقتل وكذا الزنديق المعروف الداعي والفتوى على هذا القول انتهى. وفي فتح القدير: وتقبل الشهادة بالردة من عدلين ولا يعلم مخالف إلا الحسن قال: لا يقبل في القتل إلا أربعة قياسا على الزنا وإذا شهدوا على مسلم بالردة وهو منكر لا يتعرض له لا لتكذيب الشهود العدول بل لأن إنكاره توبة ورجوع انتهى.

(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

مَجْمَعُ الْأَنْهُرِ
فِي شَرْحِ مُلْتَقَى الْأَبْحُرِ

تأليف المولى الفقيه المحقق عبد الرحمن بن

الشيخ محمد بن سليمان المعروف

بداماد أفندي سقاه الله

فضله السرمدي ونفعنا

بما احتواه آمين.

المتوفى سنة ١٠٧٨ هـ.

نبذة من كتاب مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر

بِسْمِ اللهِ الرَحْمَنِ الرَّحِيمِ إن أتى بكلمة الشهادة على وجه العادة لم ينفعه ما لم يرجع عما قاله لأنه بالإتيان بكلمة الشهادة لا يرتفع الكفر وما كان كونه كفرا اختلاف يؤمر قائله بتجديد النكاح وبالتوبة والرجوع عن ذلك احتياطا وما كان خطأ من الألفاظ لا يوجب الكفر فقائله مؤمن على حاله ولا يؤمر بتجديد النكاح ولكن يؤمر بالاستغفار والرجوع عن ذلك هذا إذا تكلم الزوج فإن تكلمت الزوجة ففيه اختلاف في إفساد النكاح وعامة علماء بخارى على إفساده لكن يجبر على النكاح ولو بدينار وهذا بغير الطلاق وفي البزازية: للمسلم ينبغي أن يتعوذ بهذا الدعاء صباحا ومساء فإنه سبب العصمة من الكفر هو دعاء سيد المبشر عليه الصلاة السلام (**اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم أنك أنت علام الغيوب**) ثم إذا كان في المسألة وجوه توجيه ووجه واحد يمنعه يميل العالم إلى ما يمنع من الكفر ولا ترجح الوجوه على الوجه وفي البحر الحاصل: أن من تكلم بكلمة الكفر هازلا أو لاعبا كفر عند الكل ولا اعتبار باعتقاده * ومن تكلم بها خطأ أو مكرها لا يكفر عند الكل * ومن تلكم بها عالما عامدا كفر عند الكل ومن تكلم بها اختيارا جاهلا بأنها كفر ففيه اختلاف والذي تحرر أنه لا يفتى بتكفير مسلم مهما أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان في كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة فعلى هذا فأكثر ألفاظ الكفر المذكورة لا يفتى بالتكفير فيها ولقد ألزمت نفسي أن لا أفتي منها انتهى. لكن في الدرر: وإن لم يعتقد أو لم يعلم أنها لفظة الكفر ولكن أتى بها عن اختيار فقد كفر عند عامة العلماء ولا يعذر بالجهل * وإن لم يقصد في ذلك بأن أراد أن يتلفظ بلفظ آخر فجرى على لسانه لفظ الكفر فلا يكفر لكن القاضي لا يصدقه.

وفي أكثر المعتبرات أن تعليم صفة الإيمان للناس وبيان صفة خصائص أهل

السنة والجماعة من أهم الأمور وللسلف رحمهم الله تعالى من ذلك تصانيف * والمختصر أن يقول كل ما أمرني الله تعالى به قبلته وما نهاني عنه انتهيت عنه * فإذا اعتقد ذلك بقلبه وأقر بلسانه كان إيمانه صحيحا وكان مؤمنا بالكل * وفيه إذا قال الرجل لا أدري أصحيح إيماني أم لا فهذا خطأ إلا إذا أراد به نفيا للشك كمن يقول لشيء نفيس لا أدري أيرغب فيه أحد أم لا؟ ومن شك في إيمانه وقال إن شاء الله فهو كافر إلا أن يؤولها فقال لا أدري أخرج من الدنيا وأنا مؤمن فحينئذ لا يكون كفرا * ومن أضمر الكفر أو هم به فهو كافر * ومن كفر بلسانه طائعا وقلبه مطمئن بالإيمان فهو كافر ولا ينفعه ما في قلبه لأن الكافر يعرف بما ينطق به بالكفر فإذا نطق بالكفر طائعا كان كافرا عندنا وعند الله تعالى وفي البزازية: إذا خطر بباله أشياء توجب الكفر به لكنه لا يتكلم به فذلك محض الإيمان بالحديث وإذا عزم على الكفر بعد حين يكفر في الحال لزوال التصديق المستمرة * وجحود الكفر توبة.

وفي الدرر: والرضى بكفر نفسه كفر بالاتفاق وأما الرضى بكفر غيره فقد اختلفوا فيه وذكر شيخ الإسلام: الرضى بكفر الغير إنما يكون كفرا إذا كان يستنجز الكفر ويستحسنه أما إذا لم يكن كذلك ولكن أحب الموت أو القتل على الكفر لمن كان شريرا مؤذيا بطبعه حتى ينتقم الله تعالى منه فهذا لا يكون كفرا وعلى هذا إذا دعا على ظالم فقال أماتك الله تعالى على الكفر أو قال سلب الله تعالى عنك الإيمان ونحوه فلا يضره إن كان مراده أن ينتقم الله تعالى منه على ظلمه وإيذائه الخلق وعن الإمام أن الرضى بكفر الغير كفر من غير تفصيل.

وفي البزازية: من لقن إنسانا كلمة الكفر ليتكلم بها كفر وإن كان على وجه اللعب والضحك وكذا من علمها كلمة لتبين من زوجها فهو كافر ومن أمر رجلا بالكفر كفر الآمر في الحال تكلم المأمور به أم لا لأنه استخفاف بالإسلام هذا إنما يكون كفرا على قول من جعل الرضى بكفر الغير كفرا أما من لم يجعله كفرا لا يكفر الآمر والمعلم ومن قال لا إله وأراد أن يقول إلا الله ولم يتكلم به لا يكفر لأنه

معتقد للإيمان، أما إذا لم يخطر بباله الإثبات وأراد النفي فقط فهو كافر وفي الخانية: الوثني الذي لا يقر بوحدانية الله تعالى إذا قال لا إله إلا الله يصير مسلما حتى لو رجع عن ذلك يقتل ولو قال الله لا يصير مسلما. ولو قال أنا مسلم لا يصير مسلما وإن قال أردت به أني مسلم إني على الحق لم يكن مسلما واليهودي أو النصراني إذا قال لا إله إلا الله لا يصير مسلما ما لم يقل محمد رسول الله. وفي الدرر: أما اليهودي أو النصراني إذا قالاهما اليوم فلا يحكم بإسلامهم لأنهم يقولون ذلك فإذا استفسرته يقول هو رسول الله إليكم فلا يدل هذا على إيمانه ما لم ينضم إليه التبري مما هو عليه وإذا قال النصراني أشهد أن لا إله إلا الله وتبرأ عن النصرانية لا يحكم بإسلامه لجواز أنه دخل في اليهودية إذ اليهودي يقول ذلك أيضا وإن زاده وقال أدخل في دين الإسلام زال الاحتمال.

وكذا إذا قال أنا مسلم لم يكن مسلما لأن معناه التسليم للحق وكل ذي دين يزعم أنه كذلك، إلا إذا قال أنا مسلم مثلك. وفي الخانية وعن بعض المشايخ إذا قال اليهودي دخلت في الإسلام يحكم بإسلامه وإن لم يقل تبرأت عن اليهودية لأن قوله دخلت في الإسلام إقرار بدخول حادث في الإسلام وأفتى البعض في ديارنا بإسلامه من غير تبرئ وهو المعمول به الآن والمجوسي إذا قال أسلمت أو قال أنا مسلم يحكم بإسلامه مجوسي قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يكون مسلما قال كافر آمنت بما آمن به الرسول يصير مسلما قال كافر الله تعالى واحد يصير مسلما ولو قال لمسلم دينك حق لا يصير مسلما. وقيل يصير إلا إذا قال حق لكن لا آمن به وعن الحسن بن زياد إذا قال الرجل لذمي أسلم فقال أسلمت كان مسلما لأنه خاطبه بجواب ما كلفه به.

وفي فصول العمادي قال ليهودي أو نصراني صف دينك فقال لا أدري قال الإمام محمد هو ليس بيهودي ولا نصراني وحكمه حكم المرتد. مسلم تزوج نصرانية صغيرة ولها أبوان نصرانيان فكبرت وهي لا تعقل دينا من الأديان أي لا تعرفه بقلبها

ولا تصفه أي لا تعبر بلسانها وهي غير معتوهة فإنها تبين من زوجها وكذلك الصغيرة المسلمة إذا بلغت عاقلة غير معتوهة وهي لا تعقل الإسلام وتصفه بانت من زوجها وفي مجمع النوازل: أذن في وقت الصلاة أجبر على الإسلام أما لو قرأ وتعلم لا يكون إسلاما. كافر لقن كافرا آخر الإسلام لم يكن مسلما. كافر جاء إلى رجل وقال أعرض علي الإسلام فقال اذهب إلى فلان يكفر وقيل لا يكفر. كافر لم يقر بالإسلام إلا أنه صلى مع المسلمين بجماعة يحكم بإسلامه وإن صلى وحده لا. وروي عن محمد: أنه يكون مسلما إذا صلى إلى قبلة المسلمين وقال الناطفي: إذا صلى الكافر في وقتها ولو منفردا متوجها إلى الكعبة يصير مسلما. ذمي اقتدى بمسلم وصلى خلفه قال أبو بكر محمد بن الفضل: يحكم بإسلامه ولو أم الذمي المسلمين لا. قال واحد رأيته يصلي في المسجد الأعظم وشهد آخر أنه يصلي في المسجد لا تقبل ولكن يجبر على الإسلام وفي البزازية: شهد مسلم على نصراني بأنه أسلم قبل موته نجعله مسلما وإن شهد على مسلم ميت أنه ارتد قبل موته ومات عليه لا أجعله مرتدا تصلي المسلمون عليه بخبر واحد لو عدلا. شهد نصرانيان على نصراني أنه مسلم وهو ينكر لم يقبل وكذا لو شهد رجل وامرأتان من المسلمين وترك على دينه وجميع أهل الكفر فيه على السواء ولو شهد نصرانيان على نصرانية بأنها أسلمت جاز وأجبرت على الإسلام وهذا كله قول الإمام وفي النوادر: تقبل شهادة رجل وامرأتين على الإسلام وشهادة نصرانيين على نصراني بأنه أسلم.

ثم إن ألفاظ الكفر أنواع

الأول فيما يتعلق بالله تعالى: إذا وصف الله تعالى بما لا يليق به أو سخر باسم من أسمائه أو بأمر من أوامره أو أنكر صفة من صفات الله تعالى أو أنكر وعده أو وعيده أو جعل له شريكا أو ولدا أو زوجة أو نسبه إلى الجهل أو العجز أو النقص أو أطلق على المخلوق من الأسماء المختصة بالخالق نحو القدوس والقيوم والرحمن وغيرها يكفر ويكفر بقوله لو أمرني الله تعالى بكذا لم أفعل ولو قال إن فلانا في عيني

كاليهودي في عين الله تعالى يكفر عند جمهور المشايخ وقيل إن عنى استقباح فعله لا يكفر. ولو قال (دست خداى درازست) كفر عند أكثرهم وقيل إن عنى به الجارحة يكفر وإن عنى به القدرة لا.

وفي البزازية: لكن ينبغي أن لا يكون كفرا حينئذ عند الكل تدبر. ويكفر بقوله يجوز أن يفعل فعلا لا حكمة فيه وبإثبات المكان لله تعالى فإن قال الله في السماء فإن قصد به حكاية ما جاء في ظاهر الأخبار لا يكفر وإذا أراد به المكان كفر وإن لم تكن له نية يكفر عند أكثرهم وعليه الفتى كما في البحر ولو قال أرى الله تعالى في الجنة فهذا كفر ولو قال من الجنة فليس بكفر لكن في الفصولين ينبغي أن يكفر لو جعل الجنة ظرفا لله تعالى لا لو جعلها لنفسه واللفظ يحتملها ويكفر بقوله الله تعالى جلس للإنصاف أو قام به لأنه وصف الله تعالى بالقيام والقعود وبوصفه تعالى بالفوق والتحت ولو قال (مرا بر آسمان خداى است وبر زمين فلان) كفر كما في أكثر الكتب لكن في الخزانة خلافه. قال (از خداى هيچ مكان خالى نيست) كفر وقوله حين الغضب لا أخشى الله إذا قيل له ألا تخشى الله تعالى؟ كفر إذا نفى الخوف وإن أراد به شيئا آخر لا يكفر. ولو قال (علم خداى در همه مكان هست) فهذا خطأ. ومن قال (نه مكانى زتو خالى نه تو هيچ مكانى) كفر. ولو قال لمن لا يمرض هذا منسي الله أو قال هذا من نسيه الله تعالى فهذا كفر عند بعضهم وهو الصحيح ويكفر بقوله رأيت الله تعالى في المنام وبقوله المعدوم ليس بمعلوم الله تعالى وبقوله الظالم أنا أفعل بغير تقدير الله تعالى وبظنه إن الجنة وما فيها للفناء عند البعض * وبقوله لامرأته أن أحب إلي من الله تعالى إذا أراد به الطاعة لها وإن قال أردت الشهوة فلا بأس به وبإدخال الكاف في آخر الله عند نداء من اسمه عبد الله إن كان عالما على الأصح وبتصغير الخالق عمدا عالما وإن كان جاهلا في ذلك لا يدري ما يقول أو لم يكن له قصد في ذلك لا يكفر. وبقوله إن كنت فعلت كذا أمس فهو كافر وهو يعلم أنه قد فعله إذا كان عنده أن يكفر به وعليه الفتوى لأنه يكون هذا

منه رضى بالكفر وأما إذا قال يعلم الله تعالى أنه قد فعل كذا وهو يعلم أنه لم يفعل فعامة المشايخ على أنه يكفر وقيل لا يكفر ويكفر بقوله الله لا يعلم إني لم أزل أذكرك بدعاء الخير عند البعض وبقوله: الله تعالى يعلم أنك أحب إلي من ولدي وهو كاذب فيه. قال امرأة لزوجها (تو سر خداى دانى) فقال نعم يكفر لأن الغيب والسر واحد. وفي البزازية: لا يكفر. ومن ادعى الغيب لنفسه يكفر حتى يؤمر بتجديد النكاح في قول المرأة نعم في جواب أتعلمين الغيب؟. ويكفر بقوله أرواح المشايخ حاضرة تعلم ويكفر عند البعض بقوله فلا يموت بهذا المرض وبقوله عند صياح الطير يموت أحد عند البعض والأصح عدمه وبقوله عند رؤية هالة القمر التي تكون حول القمر يكون مطرا مدعيا على الغيب بلا علامة. وبرجوعه من سفر عند سماعه صياح العقعق عند البعض وبإتيان الكاهن وتصديقه وبقوله أنا أعلم المسروقات وبقوله أنا أخبر عن أخبار الجن إياي فإن قال هذا فهو ساحر كان ومن صدقه فقد كفر وباعتقاده أن الملك يعلم الغيب.

الثاني في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: وفي البزازية يجب الإيمان بالأنبياء بعد معرفة معنى النبي وهو المخبر عن الله تعالى بأوامره ونواهيه وتصديقه بكل ما أخبر عن الله تعالى وأما الإيمان بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فيجب بأنه رسولنا في الحال وخاتم الأنبياء والرسل فإذا آمن بأنه رسول ولم يؤمن بأنه خاتم الأنبياء لا يكون مؤمنا.

وفي فصول العمادي: من لم يقر ببعض الأنبياء بشيء أو لم يرض بسنة من سنن المرسلين عليهم السلام فقد كفر وبيننا حكمته في قوله من سب نبيا ويكفر بنسبة الأنبياء إلى الفواحش كالعزم على الزنا ونحوه في يوسف عليه الصلاة والسلام وقيل ولو قال لم يعصوا حال النبوة وقبلها كفر لأنه رد النصوص ويكفر بقوله لا أعلم أن آدم عليه الصلاة والسلام نبي أو لا. وبقوله لو كان فلان نبيا لم آمن به كما في أكثر الكتب بخلاف ما في القنية ولا يكفر وبقوله لو بعث فلان نبيا لا ائتمر بأمره

ولا بإنكار نبوة الحضر وذي الكفل عليهما السلام لعدم الإجماع على نبوتهما ويكفر بقوله إن كان ما قال الأنبياء صدقا وحقا نجونا. وبقوله أنا رسول وبطلبه المعجزة حين ادعى رجل الرسالة والمتأخرون قالوا إن كان غرض الطالب تعجيزه وافضاحه لا يكفر واختلف في تصغير شعر النبي عليه الصلاة والسلام لكن إذا أراد الإهانة فلا خلاف في الكفر أما إذا أراد التعظيم فلا.

ومن قال لا أدري أن النبي عليه الصلاة والسلام كان إنسيا أو جنيا يكفر ومن استخف بسنة أو حديث من أحاديثه عليه الصلاة والسلام أو رد حديثا متواترا أو قال سمعناه كثيرا بطريق الاستخفاف كفر وبشتمه رجلا اسمه محمد وكنيته أبو القاسم ذاكرا للنبي عليه الصلاة والسلام. وفي إكراه الأصل إذا أكره الرجل على أن يشتم محمدا على ثلاثة أوجه: أحدها أن يقول لم يخطر ببالي شيء وإنما شتمت محمدا كما طلبوا مني وأنا غير راض به وفي هذا الوجه لا يكفر. والثاني أن يقول خطر ببالي رجل من النصارى اسمه محمد فأردت بالشتم ذلك النصراني وفي هذا الوجه لا يكفر أيضا. والثالث: أن يقول خطر ببالي رجل من النصارى فلم أشتم ذلك وإنما شتمت محمدا عليه الصلاة والسلام وفي هذا الوجه يكفر مطلقا لأنه أمكنه أن يدفع الإكراه عن نفسه بشتم محمد آخر خطر بباله. ويكفر بقوله جن النبي عليه السلام ساعة لا بقوله أغمي عليه.

ولو قيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب كذا مثلا القرع فقال رجل أنا لا أحب كفر، وقيل إن كان على وجه الإهانة وإلا لا. ومن قال لو لم يأكل آدم الحنطة ما وقعنا في هذا البلاء ففيه اختلاف ولو قال ما صرنا أشقياء يكفر. وفي البزازية: قال إن آدم عليه والسلام نسج الكرباس فقال آخر نحن إذا أولاد الحائك يكفر. قال لقاؤك علي كلقاء ملك الموت إن قاله لكراهة الموت لا يكفر وإن قاله إهانة لملك الموت يكفر، ويكفر بتعييبه ملكا من الملائكة أو بالاستخفاف به. وبقوله إن عزرائيل عليه الصلاة والسلام غلط في قبض روح فلان.

رجل قال لآخر أحلق رأسك وقلم أظفارك فإن هذه سنة فقال لا أفعل وإن كان سنة فهذا كفر لأنه قال على سبيل الإنكار والرد وكذا في سائر السنن خصوصا في سنة هي معروفة وثبوتها بالتواتر كالسواك ونحوه ويكفر بقوله لا أدري إن النبي في القبر مؤمن أو كافر. وبقوله ما كان علينا نعمة من النبي عليه الصلاة والسلام لأن البعثة من أعظم النعم. وبقذفه عائشة رضي الله تعالى عنها. وإنكاره صحبة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وبإنكاره إمامته على الأصح وبإنكاره صحبة عمر رضي الله عنه على الأصح.

الثالث في القرآن والأذكار والصلاة ونحوها: إذا أنكر آية من القرآن أو استخف بالقرآن أو بالمسجد أو بنحوه مما يعظم في الشرع أو عاب شيئا من القرآن أو خطئ أو سخر بآية منه كفر إلا المعوذتين ففي إنكارهما اختلاف والصحيح كفره. وقيل إن كان عاميا يكفر وإن كان عالما لا لكن ذهب بعض الفقهاء إلى عدم إيجاب الكفر ويكفر باعتقاد أن القرآن مخلوق حقيقة وكذا بخلق الإيمان ويجب إكفار الذين يقولون أن القرآن جسم إذا كتب وعرض إذا قرئ. وفي فصول العمادية: إذا قرأ القرآن على دق الدف والقصب يكفر.

وقال لمن يقرأ القرآن ويتذكر كلمة (**وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ** * القيامة: ٢٩) أو ملأ قدحا وجاء به وقال (**كَأْساً دِهَاقاً** * النبأ: ٣٤) أو قال (**فَكَانَتْ سَرَاباً** * النبأ: ٢٠) بطريق المجازفة أو قال عند الكيل والوزن (**وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ** * المطففين: ٣) أو جمع أهل موضع وقال (**فجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً** * الكهف: ٩٩) أو قال (**وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنهُمْ أَحَداً** * الكهف: ٤٧) أو قال لغيره كيف تقرأ والنازعات نزعا تنصب أو ترفعها وأراد به الطعن السخرية أو قال صرح اسمك فإن الله تعالى قال (**كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم** * المطففين: ١٤) أو دعي إلى الصلاة بالجماعة فقال أنا أصلي وحدي فإن الله تعالى قال (**إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى** * العنكبوت: ٤٥) أو قال لغيره كل تفشيلة فإن التفشيلة تذهب بالريح قال تعالى (**وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ**

رِيحُكُمْ * الأنفال: ٤٦) كفر في هذه الصور كلها. والحاصل أن من استعمل كلام الله تعالى في بدل كلامه هازلا كفر وكذا لو نظم القرآن بالفارسية ويكفر بوضع رجله على المصحف مستخفا وإذا قال القرآن أعجمي كفر ولو قال في القرآن كلمة أعجمية ففي أمره نظر ويكفر بالاستهزاء بالأذكار وبشرب الخمر وقال بسم الله أو قال ذلك عند الزنا وعند الحرام المقطوع بحرمته أو عند أخذ كعبين لنرد أو عند رمي الرمل وطرح الحصى كما يفعله أرباب الفال لأنه استخف باسم الله تعالى والوزان يقول في العد في مقام أن يقول واحد بسم الله ويضعه مكان قوله واحد لا أن يريد به ابتداء العد لأنه لو أراد ابتداء العد لقال بسم الله واحد لكنه لا يقول كذلك بل يقتصر على بسم الله يكفر لكن فيه كلام وإن قال عند الفراغ الحمد لله لا يكفر عند البعض لأن حمده وقع على الخلاص من الحرام وقيل يكفر لأنه وقع على اتخاذ الحرام فإن نوى يعامل على نيته وإن لم ينو شيئا لا يكفر كما في البزازية. قال بدر الرشيد: وسمعت عن بعض الأكابر أنه قال من قال موضع الأمر للشيء أ موضع الإجازة بسم الله مثل أن يقول له واحد أدخل أو أقوم أو أقعد أو أتقدم أو أسير وقال المشير بسم الله يعني به أذنتك فيما استأذنت كفر لكن فيه كلام ويكفر بقول المريض لا أصلي أبدا جوابا لمن قال له صل وقيل لا وكذا لا أصلي حين أمر بها وقيل إنما يكفر إذا قصد نفي الوجوب. قال محمد: قول الرجل لا أصلي يحتمل **أربعة أوجه: أحدها** لا أصلي لأني صليت. **والثاني**: لا أصلي بأمرك فقد أمرني بها من هو خير منك. **والثالث**: لا أصلي فسق ومجانا فهذه الثلاثة ليست بكفر. **والرابع**: لا أصلي إذ ليست تجب علي الصلاة و لم أؤمر بها وفي هذا الوجه يكفر ولو قيل للفاسق صل حتى تجد حلاوة الصلاة فقال لا تصل حتى تجد حلاوة الترك يكفر. ويكفر بقول العبد لا أصلي فإن الثواب يكون للمولى وإذا قيل لرجل صل فقال إن الله تعالى نقص عني مالي فأنا أنقص حقه كفر. ويكفر بقوله لو صار القبلة إلى هذه الجهة ما صليت. وبقوله (سر نماز بسته ام) وبقوله اصبر إلى مجيء شهر رمضان حتى نصلي في

جواب من قال صل. ومن قال له صل فقال من يقدر على أن يبلغ هذا الأمر إلى نهايته أو قال للآمر ما زدت وما ربحت من صلاتك يكفر. وبقوله نصلي رمضان إن الصلاة في رمضان تساوي سبعين صلاة وبترك الصلاة متعمدا غير ناو للقضاء وغير خائف للعقاب. وبصلاته لغير القبلة متعمدا أو في ثوب نجس أو بغير وضوء عمدا والمأخوذ به الكفر في الأخير فقط. وقيل لا في الكل ومحل الاختلاف إذا لم يكن استخفافا بالدين وإن على وجه الاستهزاء والاستخفاف فيصير كافرا بالاتفاق. وفي فصول العمادي: ولو ابتلى إنسان بذلك ضرورة بأن كان يصلي مع قوم فأحدث واستحيى أن يظهر ذلك وكتم فصلى هكذا أو كان هرب من العدو فقام يصلي وهو غير طاهر قال بعض مشايخنا لا يكفر لأنه غير مستهزئ وينبغي لمن اضطر إلى ذلك أن لا يقصد بالقيام القيام إل صلاة ولا يقرأ شيئا وإذا حنى ظهره لا يقصد الركوع ولا السجود ولا يسبح حتى لا يصير كافرا إجماعا. ويكفر بإنكار فريضة الركوع والسجود مطلقا وبالاستهزاء بالأذان لا بالمؤذن وبإعادة الأذان على وجه الاستهزاء وبقوله صوت طرفة حين سمع الأذان استهزاء أو قال هذا صوت غير المتعارف أو صوت الأجانب أو صوت الجرس أو قال (اين بانك پاسبان) هذا إذا قصد الاستهزاء بالقراءة نفسها بخلاف ما إذا استهزأ بقارئها من وحشة قبح صوته فيها وغرابة تأديته بها وبقوله لا أؤدي الزكاة بعد الأمر بأدائها على قول وبقوله لو أمرني الله تعالى بالزكاة أكثر من خمسة دراهم أو بالصوم أكثر من شهر لا أفعل ولو تمنى أن لا يفرض رمضان فالصواب أنه على نيته.

قال عند دخول شهر رمضان جاء الشهر الثقيل أو الضيف الثقيل أو قال عند دخول رجب بفتنها (اندر افتاديم) إن قال تهاونا كفر وإن قال لضعفه وجوعه لا يكفر ويكفر بقوله إن هذا الطاعات جعلها الله تعالى عذابا علينا بلا تأويل أو قال لو لم يفرض الله تعالى هذه الطاعات لكان خيرا لنا بقوله لا عند أمره بقوله قل لا إله إلا الله لكن إن عنى به لا اقول بأمرك لا يكفر وبإنكاره الأهوال عند النزع أو القبر

لكن المعتزلة أنكروا عذاب القبر فلا يصح اكفارهم في صحيح الأقوال وبإنكاره القيامة أو البعث أو الجنة أو الميزان أو الحساب أو الصراط أو الصحائف المكتوبة فيها أعمال العباد إلا إذا أنكر بعينه وبإنكاره رؤية الله عز وجل بعد دخول الجنة وبإنكاره عذاب القبر وبقوله لو أعطاني الله الجنة لا أريدها دونك أو لا أدخلها مع فلان أو لو أعطاني الله تعالى الجنة أو لأجل هذا العمل لا أريدها أو لا أريد الجنة أو أريد رؤيته تعالى كما في أكثر الكتب لكن رؤيته تعالى أكبر من الجنة فينبغي أن لا يكفر بطلب الأعلى ويؤيده ما قالوا من أن الدنيا حرام على أهل الآخرة حرام على أهل الدنيا وكلاهما حرامان على أهل الله تأمل وبقوله لا أعلم أن اليهود والنصارى إذا بعثوا هل يعذبون بالنار وبإنكاره حشر نبي آدم لا غيرهم وبعدم رؤية العقوبة بالذنب وبعدم رؤية المعاصي قبيحة وبعدم رؤية الطاعة حسنا وبعدم رؤية الثواب على الطاعة وبعدم رؤية وجوب الطاعات.

الرابع في الاستخفاف بالعلم: وفي البزازية فالاستخفاف بالعلماء لكونهم علماء استخفاف بالعلم والعلم صفة الله تعالى منحه فضلا على خيار عباده ليدلوا خلقه على شريعته نيابة عن رسله فاستخفافه بهذا يعلم أنه إلى من يعود فإن افتخر سلطان عادل بأنه ظل الله تعالى على خلقه يقول العلماء بلطف الله اتصفنا بصفته بنفس العلم فكيف إذا اقترن به العمل والملك عليك لو لا عدلك فأين المتصف بصفته من الذين إذا عدلوا لم يعدلوا عن ظله والاستخفاف بالأشراف والعلماء كفر. ومن قال للعالم عويلم أو لعلوي عليوي قاصدا به الاستخفاف كفر.

ومن أهان الشريعة أو المسائل التي لابد منها كفر ومن بغض عالما من غير سبب ظاهر خيف عليه الكفر ولو شتم فم عالم فقيه أو علوي يكفر وتطلق امرأته ثلاثا إجماعا كما في مجموعة المؤيدي نقلا عن الحاوي لكن في عامة المعتبرات إن هذه الفرقة فرقة بغير طلاق عند الشيخين فكيف الثلاث بالإجماع تدبر، حكي أن فقيها وضع كتابه في دكان وذهب ثم مر على ذلك الدكان فقال صاحب الدكان ههنا

نسيت المنشار فقال الفقيه عندك لي كتاب لا منشار فقال صحاب الدكان النجار يقطع الخشبة بالمنشار وأنتم تقطعون به حلق الناس أو قال حق الناس أمر ابن الفضل بقتل ذلك الرجل لأنه كفر باستخفاف كتاب الفقيه وفيه إشعار بأن الكتاب إذا كان في غير علم الشريعة كالمنطق والفلسفة لا يكون كفرا لأنه يجوز إهانته في الشريعة يحكى عن العلامة الخوارزمي مولانا همام الدين أنه قتل واحدا من الاعونة حين أطال لسانه إلى دفتر واحد من الطلبة من قال لفقيه يذكر شيئا من العلم أو يروي حديثا صحيحا هذا ليس بشيء. أو قال لأي شيء يصلح هذا الكلام ينبغي أن يكون الدرهم لأن العزة والحرمة اليوم للدرهم لا للعلم كفر ولو قال رجل (درهم بايد علم بچه كار آيد) أو قال (علم بكاسه اندر شكست) كفر. ويكفر بجلوسه على مرتفع ويتشبه بالمذكرين ومعه جماعة يسألونه ويضحكون منه ثم يضربهم بالمخراق * وكذا يكفر الجمع لاستخفافهم بالشرع وكذا لو لم يجلس على مكان مرتفع ولكن يستهزئ بالمذكرين ويسخر والقوم يضحكون كفروا وكذا من تشبه بالمعلم على وجه السخرية وأخذ الخشبة ويضرب الصبيان كفر ويكفر من قال قصصت شاربك وألقيت العمامة على العاتق استخفافا أو قال ما أقبح أمر قص الشارب ولف طرف العمامة ويكفر بقوله ماذا أعرف الشرع؟ أو قال ماذا أصنع بالشرع؟.

وبقوله الشرع وأمثاله لا يفيدني ولا ينفذ أو قال لماذا يصلح لي مجلس العلم؟ أو ألقى الفتوى على الأرض وقال (اين چه شرعست) أو قال ماذا أشرع؟ هذا أو قال ماذا أعرف الطلاق والملاق؟ أو قال (من علم حيل را منكرم) أو قال اذهب معي إلى الشرع فقال لا أذهب حتى بالبيدق كفر إذا عاند الشرع بخلاف ما إذا أراد دفعه في الجملة عند المخاصمة أو قصد أنه صحح الدعوى فيستحق المطالبة أو تعلل لأن القاضي ربما لا يكون جالسا في المحكمة فلا يكفر. أما لو قال إلى القاضي فقال لا أذهب فلا يكفر. إذا تخاصم رجلان فقال أحدهما تعال حتى نذهب إلى العالم أو

إلى الشرع فقال الآخر (من علم چه دانم) يكفر. ويكفر بقوله (آنكس كه سيم كرفتي قاضى شريعت كجا بود) قيل إن عنى به قاضي البلد لا يكفر لو قال أين كان الشرع وأمثاله حين أخذت الدراهم يكفر. ومن قال لرجل (بيا بمجلس علم مى روم) فقال (مرا بعلم چه كار است) يكفر ومن قيل له قم اذهب إلى مجلس العلم فقال من يقدر على الإتيان بما يقولون أو قال ما لي ومجلس العلم كفر أو قال من يقدر على أن يكمل بما أمر العلماء كفر كما في أكثر الكتب لكن لو سمع في مجلس العلم ما لا يتيسر على كل أحد من كثرة النوافل والرياضات والمجاهدات التي تحكى عن الأنبياء وعن بعض السلف الصالح فقال تعجبا وتعظيما لشأنه مقرا بعجزه عن مثله ونقصانه لا على سبيل الاستخفاف والإنكار ينبغي أن لا يكفر ويكفر بقوله لآخر لا تذهب إلى مجلس العلم فإن ذهبت تطلق وتحرم امرأتك ممازحة أو جدا ومن رجع من مجلس العلم فقال الآخر رجع هذا من الكنيسة كفر، ويكفر بقوله قصعة ثريد خير من العلم وبقوله الجهل خير من العلم. وبقوله الجاهل خير من العالم. وبقوله زاهد جاهل خير من عالم فاسق. وبقوله (فعل دانشمندان همانست فعل كافران) ومن ذكر عنده الشرع فتجشأ فقال هذا الشرع كفر. ويكفر بقوله لا توحيد في علم الشريعة. أو علم الحقيقة أعلى من علم الشريعة. أو لا حقيقة علم الشريعة أو علم الحقيقة أحب إلي من الشريعة ويريد بالحقيقة علم الفلاسفة.

الخامس في المتفرقات: ويكفر بقوله الإيمان[١] يزيد وينقص وبقوله لا أدري الكافر في الجنة أو في النار. وبقوله لا أترك النقد لأجل النسيئة جوابا لقوله دع الدنيا للآخرة. وبقوله أنا مخلد وبقوله النصرانية خير من اليهودية لأنه أثبت الخيرية لما هو قبيح شرعا وعقلا ثابت قبيحة بالقطعي بل يقوله اليهودية شر من النصرانية وبقوله لا في جواب ألست بمسلم؟ وبقوله لا أسمع كلامك وأفعل جزاء في جواب من قال

---

(١) من قال كمال وصفة الإيمان يزيد وينقص لا يكفر بل يؤجر

اتق الله ولا تفعل وبقوله قتل فلان أو دم فلان حلال أو مباح قبل أن يعلم سببا موجبا للقتل وكذا من قال لهذا القائل صدقت وأحسنت إلا أن يراد به الشتم فينبغي أن لا يكفر بل يعزر وبقوله مال فلان المسلم لي حلال قبل تحليل المالك إياه ولو قال لأمير يقتل بغير حق كما إذا قتل سارقا أو شاربا جودت له أو أحسنت يكفر. وبقوله ليتني لم أسلم إلى هذا الوقت حتى أرث أبي. وبقوله لبيك أو قال نحن كذلك في جواب من قال يا كافر أو يا مجوسي أو يا يهودي أو يا نصراني وبقوله أنا ملحد وبقوله المعتذر كنت كافرا فأسلمت عند البعض وقيل لا وبتبجيل الكافر حتى لو سلم على الذمي تبجيلا وبقوله للمجوسي يا أستاذ تبجيلا وبقوله الحرام أحب إلي من الحلال في جواب من قال كل من الحلال. وباعتقاد الحلال حراما أو على العكس هذا إذا كان حراما بعينه وحرمته ثابتة بدليل قطعي أما لو بأخبار الآحاد لا يكفر ولو قال نعم الأمر أكل الحرام قيل يكفر. ومن قال أحب الخمر ولا أصبر عنها قيل يكفر وبقوله الخمر ليست بحرام لأنه استحل الحرام القطعي وباستحلال اللواطة إن علم أن حرمته من الدين وبتمنيه إن لم يحرم الظلم أو الزنا أو القتل بغير حق أو كل حرام لا يكون حلالا في وقت بخلاف الخمر. ولو تصدق على فقير شيئا من المال الحرام يرجو الثواب يكفر. ولو علم الفقير بذلك فدعا له وأمن المعطي كفرا. ولو شتم فم مسلم يكفر وتطلق امرأته باينا وهو الأصح مما قاله البعض من أنها تطلق ثلاثا كما في مجموعة المؤيدي نقلا عن الحاوي هذا قول محمد وعند الشيخين: إن هذه فرقة بغير طلاق كما قررناه آنفا على أنه أفتي في زماننا عدم الكفر. ولو سب طعاما بكلمة الجماع يكفر.

ولو شتم حيوانا من المأكولات أو الماء فعند الإمام يكفر. وعندهما لا. ولا يكفر في قولهم جميعا لو شتم حيوانا لا يؤكل ومن ابتلي بمصيبات متنوعة فقال أخذت مالي وأخذت ولدي وأخذت كذا وكذا فما ذا نفعل أيضا وماذا بقي لم تفعله وما أشبه هذا من الألفاظ فقد كفر ويكفر بقول المريض المشتد مرضه إن

شئت توفني مسلما وإن شئت كافرا. ارتكب معصية صغيرة فقال له قائل تب فقال ماذا صنعت حتى أتوب يكفر. قال لظالم تؤذي الله والمسلمين فقال نعم ما أفعل (خوش مى كنم) كفر.

وفي البزازية ومن قال للظالم أنه عادل يكفر. وكذا للأمراء في زماننا لأنهم جائرون بيقين ومن سمي الجور عدلا كفر وقيل لا يكفر لأن له تأويلا وهو أن يقول أردت أنه عادل عن غيرنا أو هو عادل عن طريق الحق هذا إذا لم يرد به حقيقة اللفظ أما إذا أراد به حقيقة اللفظ فيكفر عند الكل فلا يكفي عدله في قضية جزئية لأن في العرف لا يطلق العدل إلا على من استمر على وتيرة الشروع بين الرعايا. ومن قال لمن أخذه مقاطعة على مال معلوم (مبارك باد) يكفر ومن تكلم بكلمة الكفر وضحك منه آخر كفر الضاحك والمتكلم إلا أن يكون ضروريا بأن يكون الكلام مضحكا ولو تكلم الواعظ بكلمة الكفر وقبل منه القوم كفر الكل وقيل إذا سكت القوم عن الذكر وجلسوا عنده بعد تكلمه بالكفر كفروا إذا علموا إن هذه الكلمة كفر. ويكفر بقوله أماته الله قبل حياته وبقوله زدني وأطلب يوم القيامة في جواب من قال لمديونه أعط الدراهم في الدنيا فإنه لا دراهم في الآخرة يعني تؤخذ حسناتك وعند البعض لا يكفر. وبقوله أعطني برا أعطيك يوم القيامة شعيرا أو على العكس. وبقوله ما لي في المحشر وبقوله لا أخاف المحشر أو لا أخاف يوم القيامة وبقوله أنا برئ من الموت عند البعض وبقوله لآخر اذهب معك إلى حفير جهنم أو إلى بابها ولكن لا أدخلها وبقوله إلى جهنم أو إلى طريق جهنم عند البعض. بقوله كفرت حين تكلم بكلمة زعم القول أنها كفر فليس بكفر ويكفر بقوله لا حمية ولا دين لي في جواب من قال ليس لك حمية ولا دين؟. وبقوله لولده يا ولد الكافر عند البعض. وبقوله لدابته يا دابة الكافر أو يا ملك الكافر إن كانت نتجت عنده وإلا لا. وبقوله ما أمرني فلان أفعل ولو بكفر. وبقوله فلان أكفر مني أو قال ضاق صدري حتى أردت أن أكفر أو كدت أن أكفر أو كان زمان أقرب إلى كفره.

وبقوله صيرورة المرء كافرا خير من الخيانة وبإنكاره ونفيه حكمة المطر. وبقوله بعد قبلة أجنبية هي حلال وبتمنيه إن لم يحرم الأكل فوق الشبع وبقوله لا يقال للسلطان هكذا في جواب من قال يرحمك الله حين عطس السلطان. وبقوله بارك الله في كذبك لمن كذب واستحسانه باطلا من كلام أهل البدعة وبقوله للقبيح أنه حسن وبقوله أنت مثل إبليس. لا يكفر بقوله أنت عندي مثل إبليس عند الله. ويكفر بخروجه إلى نيروز المجوس والموافقة معهم فيما يفعلونه في ذلك اليوم وبشرائه يوم نيروز شيئا لم يكن يشتريه قبل ذلك تعظيما للنيروز لا للأكل والشرب وبإهدائه ذلك اليوم للمشركين ولو بيضة تعظيما لذلك اليوم. ولا يكفر بإجابة دعوة مجوس وحلق رأس ولده.

ويكفر بوضع قلنسوة المجوس على رأسه على الصحيح إلا لتخليص الأسير أو لضرورة دفع الحر والبرد عند البعض وقيل إن قصد به التشبيه يكفر وكذا شد الزنار في وسطه. وفي البزازية ويحكى عن بعض من الأسالفة أنه يقول ما ذكر من الفتاوى أنه يكفر بكذا وكذا أنه للتخفيف والتهديد لا لحقيقة الكفر وهذا كلام باطل وحاشا أن يلعب أمناء الله تعالى أعني علماء الأحكام بالحلال والحرام والكفر والإسلام بل لا يقولون إلا الحق الثابت عند الشريعة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام عصمني الله وإياكم عن زلل اللسان وتكلم كملة الكفر بالخطأ والنسيان آمين بحرمة سيد المرسلين صلاة الله عليه وعليهم أجمعين.

شَوَاهِدُ الْحَقِّ
فِي الْاِسْتِغَاثَةِ بِسَيِّدِ الْخَلْقِ

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

لخادم السنة وقامع البدعة فقيد الإسلام

الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني

رئيس محكمة الحقوق العليا ببيروت سابقا

رحمه الله ونفع بعلومه آمين.

نبذة من كتاب شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق

بِسْمِ اللهِ الرَحْمَنِ الرَّحِيمِ أما بعد، فيقول الفقير يوسف بن إسماعيل النبهاني غفر الله ذنوبه وستر في الدارين عيوبه. قد حدث في هذا الزمان الذي قل فيه العلم وذل، وكثر فيه الجهل وجل جماعة حمقى من طلبة العلم لعب بهم الشيطان فحملهم على دعوى الاجتهاد المطلق حتى زعموا أنهم كالشافعي ومالك وأحمد والنعمان عليهم الرحمة والرضوان، ومع أن أكثرهم من ضعاف الطلبة الملحقين بالعوام ولا يجوز أن يقال إنهم من علماء الإسلام. وقد نشأ من دعواهم هذه السقيمة وأوصافهم الأخرى الذميمة مضار عليهم وعلى بعض جهلة المسلمين عظيمة، فكتبت هذه الرسالة القوية القويمة لأنبه الناس على دعاويهم الباطلة ومساويهم العاطلة نصيحة لهم وللمسلمين وخدمة لهذا الدين المبين، وسميتها (**السهام الصائبة لأصحاب الدعاوي الكاذبة**) وها أنا أشرع فأقول: إن دعوى الاجتهاد في هذا الزمان منهم ومن غير هم مطلقا مهما كان عالما هي دعوى كاذبة لا يلتفت إليها ولا يعول عليها. وقد ذكرت في كتابي (**حجة الله على العالمين**) في الرد على من يدعي الاجتهاد في هذا الزمان. ونقلت عبارات العلماء في ذلك كالإمام الشعراني والإمام ابن حجر الهيتمي والإمام المناوي وغيرهم بما يقنع كل ذي طبع سليم وفهم مستقيم عنده أدنى إنصاف. وها أنا أنقل بعض ذلك فأقول: اعلم أنه قد انقطع الاجتهاد منذ مئات من السنين باتفاق علماء المذاهب الذين يعول عليهم وهم سادات الأمة وحماة دينها و لم يبق لكل مسلم إلا أن يتبع مذهبا من هذه المذاهب الأربعة لعجزه عن فهم الكتاب والسنة واستنباط الأحكام منهما بنفسه فيكون قد اتبع كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مقلدا في فهمهما ذلك الإمام ومن أتبعه من أئمة مذهبه الذين أطلعوا على كلامه جيلا بعد جيل، وطبقوه على أدلة الكتاب والسنة قبيلا بعد قبيل، فما رأوه موافقا لها من أحكام المذهب وأكثره كذلك قبلوه وأثبتوه واعتمدوه، وما

رأوه مخالفا وهو النزر القليل زيفوه وضعفوه جاعلين محط نظرهم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لم يخرج عنهما من الإجماع والقياس بدون محاباة لإمامهم ولمن وافقه على قوله الضعيف ممن جاء بعده من أئمتهم، فالأمة المحمدية – ولله الحمد – لم تخرج باقتدائها بهؤلاء الأئمة عن إتباعها لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

أما الاجتهاد فلا يدعيه اليوم إلا مختل العقل والدين إلا من طريق الولاية كما قاله الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي رضي الله عنه. قال الإمام المناوي في أول شرحه الكبير على الجامع الصغير من عبارة طويلة، قال العلامة الشهاب ابن حجر الهيتمي: لما ادعى الجلال السيوطي الاجتهاد قام عليه معاصره ورموه عن قوس واحدة وكتبوا له سؤالا فيه مسائل أطلق الأصحاب فيها وجهين وطلبوا منه إن كان عنده أدنى مراتب الاجتهاد وهو اجتهاد الفتوى فليتكلم على الراجح من تلك الأوجه وعلى الدليل على قواعد المجتهدين، فرد السؤال من غير كتابة واعتذر بأن له أشغالا تمنعه من النظر في ذلك. قال الشهاب: فتأمل صعوبة هذه المرتبة أعني اجتهاد الفتوى الذي هو أدنى مراتب الاجتهاد يظهر لك أن مدعيها فضلا عن مدعي الاجتهاد المطلق في حيرة من أمره وفساد في فكره، وأنه ممن ركب متن عمياء، وخبط خبط عشواء. قال: ومن تصور مرتبة الاجتهاد المطلق استحيى من الله أن ينسبها لأحد من أهل هذه الأزمنة، بل قال ابن الصلاح ومن تبعه إنها انقطعت من نحو ثلاثمائة سنة، ولابن الصلاح نحو الثلاثمائة سنة: أي لأنه من أهل القرن السادس، فتكون اليوم قد انقطعت من ستمائة سنة، أي بالنظر إلى عصر ابن حجر وهو من أهل القرن العاشر، فيكون لها الآن منقطعة نحو ألف سنة إذ نحن في العام السابع عشر من القرن الرابع عشر وهو عام تأليفي لكتاب **(حجة الله على العالمين)** قال: بل نقل ابن الصلاح عن بعض الأصوليين أنه لم يوجد بعض عصر الشافعي مجتهد مستقل. ثم قال الشهاب ابن حجر: وإذا كان بين الأئمة نزاع طويل في أن إمام الحرمين وحجة

الإسلام الغزالي وناهيك بهما هل هما من أصحاب الوجوه أو لا؟ فما ظنك بغيرهما، بل قال الأئمة في الروياني صاحب البحر: إنه لم يكن من أصحاب الوجوه. هذا مع قوله: لو ضاعت نصوص الشافعي لأمليتها من صدري، فإذا لم يتأهل هؤلاء الأكابر لمرتبة الاجتهاد المذهبي، فكيف يسوغ لمن لم يفهم أكثر عباراتهم على وجهها أن يدعي ما هو أعلى من ذلك، وهو الاجتهاد المطلق (سبحانك هذا بهتان عظيم) انتهى.

وفي الأنوار عن الإمام الرافعي الشافعي: القوم كالمجمعين على أنه لا مجتهد اليوم. وقال عالم الأقطار الشامية ابن أبي الدم بعد سرده شروط الاجتهاد المطلق: هذه الشرائط يعز وجودها في زماننا في شخص من العلماء، بل لا يوجد في البسيطة اليوم مجتهد مطلق بل ولا مجتهد في مذهب إمام تعتبر أقواله وجوها مخرجة على مذهب إمامه، ما ذاك إلا أن الله أعجز الخلائق عن هذا إعلاما لعباده بتصرم الزمان وقرب الساعة، وأن ذلك من أشراطها.

وقد قال شيخ الأصحاب القفال: الفتوى قسمان أحدهما من جمع شرائط الاجتهاد وهذا لا يوجد. والثاني: من ينتحل مذهب واحد من الأئمة كالشافعي وعرف مذهبه وصار حاذقا فيه بحيث لا يشذ عنه شيء من أصوله، فإذا سئل عن حادثة فإن عرف لصاحبه نصا أجاب عليه وإلا يجتهد فيها على مذهبه ويخرجها على أصوله، وهذا أعز من الكبريت الأحمر.

فإذا كان هذا قول القفال مع جلالة قدره وكون تلامذته وغلمانه أصحاب وجوه في المذهب، فكيف بعلماء عصرنا؟ ومن جملة غلمانه القاضي حسين، والفوراني، ووالد إمام الحرمين، والصيدلاني، والبوشنجي وغيرهم، وبموتهم وموت أصحاب أبي حامد انقطع الاجتهاد وتخريج الوجوه من مذهب الشافعي، وغايتهم نقله وحفظه. فأما في هذا الزمان فقد خلت الدنيا منهم وشغر الزمان عنهم، إلى هنا كلام ابن أبي الدم. وقد صرح حجة الإسلام الغزالي: بخلو عصره من مجتهد حيث

قال في الإحياء في تقسيمه للمناظرات ما نصه: أما من ليس له رتبة الاجتهاد، وهو حكم كل أهل العصر فإنما يفتي فيه ناقلا عن مذهب صاحبه، فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يتركه، وقال في الوسيط: هذه الشروط؛ يعني شروط الاجتهاد المعتبرة في القاضي قد تعذرت في عصرنا، انتهت عبارة الشرح الكبير للمناوي باختصار، ومن أراد الاطلاع على أبسط من هذا في هذا البحث فليراجعها ويراجع حاشية ابن قاسم على جمع الجوامع وفتاوى ابن حجر، وفتاوى الشيخ محمد بن سليمان الكردي، وغيرها من كتب الأصول والفقه يجد العلماء قد اتفقوا على انقطاع الاجتهاد المذهبي فضلا عن الاجتهاد المطلق. قال العلامة الكردي المذكور بعد أن نقل عن الأئمة انقطاع الاجتهاد منذ عصور طويلة وقول الفخر الرازي والإمامين: الرافعي والنووي: الناس كالمجمعين اليوم على أنه لا مجتهد، حكم من لم يبلغ رتبة الاجتهاد إذا رأى حديثا صحيحا ولم تسمح نفسه بمخالفته أن يفتش عمن أخذ به من المجتهدين فيقلده فيه كما نبه عليه الإمام العمدة المحقق القدوة النووي في الروضة، إذ الاستنباط من الكتاب والسنة لا يجوز إلا لمن بلغ ربتة الاجتهاد كما نصوا عليه، انتهت عبارة فتاوى الكردي.

إذا علمت ذلك تعلم أن ما يهذي به الآن بعض طلبة العلم من بلوغهم درجة الاجتهاد المطلق؛ وأنهم تأهلوا لاستنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة بأنفسهم، ولم يبق لهم حاجة إلى تقليد أحد من ا لأئمة الأربعة حتى تركوا مذاهبهم التي نشئوا عليها، وصاروا يعترضون بأفهامهم السقيمة على المذاهب ويقولون نحن لا نعلم بآراء الرجال وما أشبه ذلك من عبارات المغرورين الجهال. هو من الوساوس الشيطانية والدعاوي النفسانية التي حملهم عليها قلة العقل والدين ورضاهم عن نفوسهم وجهلهم بما انطوت عليه من العيوب، وقد انعكس عليهم ما أرادوه من هذا الهوس والحماقة والوقاحة، فلم يحصلوا مطلوبهم من علو المترلة عند الناس ومقتهم الله وكره فيهم خلقه، فصاروا عندهم مرذولين يهزأون بهم:

ومن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه ما لا يرى

وقد رأيت بعضهم يدعو عوام الناس إلى استنباط الأحكام الشرعية من القرآن وصحيح البخاري. فانظر هذا الجهل العظيم والضلال المبين، فإياك يا أخي ثم إياك من الاجتماع على أمثال هؤلاء الحمقى، وألزم مذهبك وقلد أي إمام شئت من الأئمة الأربعة بدون تتبع الرخص والتلفيق في الأحكام بحيث يحصل من ذلك هيئة لا يقول بها إمام منهم فإن ذلك ممنوع. وممن يدعون الاجتهاد علماء صالحون، ولكنهم مغفلون يعرفون شيئا من الحديث والعربية وبعض العلوم المتداولة معرفة متوسطة تجوز في مثل هذا العصر السافل إطلاق لفظ العالم على أحدهم وهم مع ذلك بينهم وبين درجة الاجتهاد في أحكام الدين كما بين الشرطة والسلاطين إن لم نقل كما بين الملائكة والشياطين، ولكن لغفلتهم وقلة عقولهم ورضاهم عن نفوسهم وظنهم فيها الكمال ظنا ظاهر الزلل، واضح الخطأ والخطل، سول لهم الشيطان أنهم أهل لهذه الدعاوي الكاذبة، وإنما دخل عليهم هذا اللعين من باب دعوى التقوى والتحري في الدين، وأنه لا يجوز لهم لسلامة دينهم تقليد أحد من المجتهدين، وأن الواجب عليهم أن يأخذوا دينهم من الكتاب والسنة رأسا بدون واسطة أحد. وقد قرأوا في بعض الكتب ذم الرأي والتحريض على إتباع الكتاب والسنة فاتخذوه حجة لما ثبت في نفوسهم من ذلك، وما علموا من غفلتهم أن الرأي المذموم هو الرأي مع وجود النص من القرآن أو الحديث في تلك المسألة بعينها، وهذا لا يقول به أحد من المجتهدين وتابعيهم. كيف وقد روي عن كل واحد منهم قوله: إذا صح الحديث فهو مذهبي. وهذا إمامنا الشافعي كثيرا ما يكرر في الرسالة والأم كما قرأته بنفسي فيهما قوله رضي الله عنه (وهل لأحد قول مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فداه أبي وأمي) فالذي يقول هذا القول ويؤيده بالفعل في كتبه بالاستدلال بالكتاب والسنة ما أمكن الاستدلال بهما ووجد فيهما دليل على المسألة. هل يقال في حقه إنه يقول في دين الله بالرأي، حاشاه من ذلك، وهكذا باقي الأئمة رضي الله عنهم حتى الإمام

أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم الذين اشتهروا بأصحاب الرأي يقدمون العمل بالحديث الضعيف إذا لم يوجد لمسألة دليل غيره على القياس كما قاله الإمام الشعراني.

ومن راجع تخريج أحاديث الهداية للإمام الزيلعي يتحقق أن مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه هو أيضا مذهب أهل الحديث كباقي المذاهب، إذ القاعدة عند جميعهم الاستدلال على المسألة من القرآن، فإن لم يوجد فيه دليل لها فمن الحديث، فإن لم يوجد فمن الإجماع، فإن لم يوجد فحينئذ يقيسون المسألة على أقرب المسائل إليها وأشبهها بها مما ثبت دليله بالكتاب أو السنة أو الإجماع، وهو: أي القياس كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في الرسالة أن يكون الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم حرم الشيء منصوصا أو أحله لمعنى، فإذا وجدنا ما في مثل ذلك المعنى فيما لم ينص فيه بعينه كتاب الله ولا سنة أحللناه أو حرمناه لأنه في معنى الحلال أو الحرام، فاعلم ذلك وقلد من شئت من أئمة المذاهب الأربعة واجعلهم بينك وبين الله تعالى فإنهم كلهم هداة مهتدون، ولا تدع للشيطان عليك سبيلا فإنه يضلك عن الهدى ويوقعك في مواقع الردى ويعينك على ذلك معرفتك الحق لأهله وعدم رضاك عن نفسك واعترافك بقصورها ونظرك في العلماء الأعلام من أئمة الإسلام من عصرك إلى عصر الأئمة المجتهدين وتقليدهم إياهم وعدم خروجهم عن مذاهبهم مع أنهم كانوا من أفراد العالم في العلم وما ادعى أحد منهم الاجتهاد المطلق، فكيف تدعيه أنت وأمثالك من القاصرين المغرورين الذين صاروا سخرية للناس وملعبة للشياطين، فاترك ما أنت عليه من الهوس والهذيان، وقلد من شئت من أئمة المذاهب الأربعة كسائر علماء الأمة وعوامها من عصرهم إلى الآن، فذلك هو سبيل المؤمنين الذي إتباعه ألزم وأولى. وقد قال الله تعالى (**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى** * السناء: ١١٥).

وعليك إذا كنت أهلا لقراءة الأحاديث النبوية لتعرف أدلة مذهبك وتعمل

بأحاديث الترغيب والترهيب وتعرف عظمة دين الإسلام وتفرعاته وعقائده وكمالات الله تعالى وأسماءه وصفاته وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وفضائله ومعجزاته وأحوال الدنيا والآخرة والبعث والنشور والجنة والنار وأخبار الملائكة والجن والأمم السالفة وفضل النبيين وكتبهم، وتفضيل النبي صلى الله عليه وسلم وكتابه عليهم ومناقب آله وأصحابه وأشراط الساعة وسائر العلوم والآداب الدنيوية والأخروية، فقد جمعت أحديثه صلى الله عليه وسلم علم الأولين والآخرين.

إذا علمت ذلك تعلم شدة دجل من يقول: إذا لم نأخذ الأحكام الشرعية من الأحاديث فما فائدتها؟ فهذه فوائد لا تعد ولا تحصى وهي معظم دين الإسلام.

أما أحاديث الأحكام الواردة في نحو الصلاة والصيام والحج والزكاة والمعاملات وهي على ما قال بعضهم نحو الخمسمائة حديث، فإذا رأيت منها حديثا صحيحا لا يوافق مذهبك فقلد بالأخذ بذلك الحديث من أخذ به من الأئمة ولا تجد حديثا صحيحا إلا وقد أخذ به إمام منهم، ولعل إمامك اطلع عليه ولكن عارضه حديث أصح عنده منه أو متأخر صدوره من النبي صلى الله عليه وسلم عنه ينسخه أو غير ذلك مما يعلمه المجتهدون، وإذا أردت أن العمل به فحسن ولكن يلزمك تقليد الإمام الذي أخذ به لأنه لم يأخذ به إلا وقد انتفى عنده المانع من العمل به مع اطلاعه هو على ما لم تطلع عليه أنت من أدلة الأحكام وتأهله لذلك، وإذا عملت بحكم مذهبك فلا حرج عليك فإنه لابد أن يكون عن دليل قام عند إمامك، وإن لم تطلع عليه أنت، فإن الأئمة لم يخرجوا عن الكتاب والسنة قيد شعرة ما وجدوا فيهما دليلا على المسألة، بل هم أفضل من ذلك وأتقى وأروع، وإنما هم بمذاهبهم شرحوا الكتاب والسنة، وبينوا للناس معانيهما وأحكامهما وقربوها لأفهامهم وضبطوها ضبطا لولا إعانة الله لهم عليه لما كان في وسع البشر الإتيان بمثله، ولذلك كانت مذاهبهم هي من دلائل نبوة سيد المرسلين وصحة دينه المبين صلى الله عليه وسلم.

واختلاف الأئمة رضي الله عنهم ليس هو في أصول الدين وعقائد التوحيد

التي يترتب على الاختلاف فيها محظور، ولم يختلفوا أيضا في معظم الأحكام الشرعية المعلومة من الدين بالضرورة والتي تواترت أحاديثها واستفاضت أخبارها عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما اختلافهم في بعض الفروع بحسب ما قام عند كل منهم من قوة الدليل، فكان اختلافهم هذا رحمة للأمة تقلد أيهم شاءت بدون حرج ولا تضييق كما قال صلى الله عليه وسلم (**اختلاف أمتي رحمة**) رواه البيهقي وغيره كما في الجامع الصغير. قال المناوي في شرحه الكبير: اختلافهم توسعة على الناس بجعل المذاهب كشرائع متعددة بعث النبي بكلها لئلا تضيق بهم الأمور ولم يكلفوا ما لا طاقة لهم به توسعة في شريعته السمحة السهلة؛ فاختلاف المذاهب نعمة كبيرة وفضيلة جسيمة خصت بها هذه الأمة وقد وعد بوقوع ذلك فوقع من معجزاته صلى الله عليه وسلم انتهى.

ثم نقلت في كتابي المذكور كلاما نفيسا في هذا الشأن عن جماعة من العلماء ولا سيما الإمام الشعراني، فقد نقلت عنه في ذلك جملا جميلة منها قوله رضي الله عنه في كتاب الميزان الكبرى: سمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه الله تعالى يقول مرارا: عين الشريعة كالبحر فمن أي الجوانب اغترفت منه فهو واحد. وسمعته يقول أيضا يقول: إياكم أن تبادروا إلى الإنكار على قول مجتهد أو تخطئته إلا بعد إحاطتكم بأدلة الشريعة كلها ومعرفتكم بجميع لغات العرب التي احتوت عليها الشريعة، ومعرفتكم بمعانيها وطرقها، فإذا أحطتم بها كما ذكرنا ولم تجدوا ذلك الأمر الذي أنكرتموه فيها، فحينئذ لكم الإنكار والخير لكم وأنى لكم بذلك؟ فقد روى الطبراني مرفوعا (**إن شريعتي جاءت على ثلاثمائة وستين طريقة ما سلك أحد طريقة منها إلا نجا**) وقال رضي الله عنه في الميزان الخضرية: واعمل بالأحاديث التي صحت عند الأئمة ولو لم يأخذ بها إمامك تحز الخير بكلتا يديك، ولا تقل إن إمامي لم يأخذ بها فلا أعمل بها لأن الأئمة كلهم أسرى في يدي الشريعة لا يخرجون عنها، وقد تبرأوا كلهم من القول في دين الله بالرأي الذي لم يكن مندرجا تحت أصل من

أدلة الشريعة.

فيجب عليك يا أخي أن تحمل إمامك في كل حديث لم يأخذ به أنه لم يظهر به أو ظفر به ولكن لم يصح عنده، والمذهب الواحد لا يحتوي على جميع أحاديث الشريعة أبدا، وقد قال إمامك: إذا صح الحديث فهو مذهبي، بل ربما ترك أتباعه من المقلدين أحاديث كثيرة صحت بعده، وكان الأولى لهم الأخذ بها عملا بوصية إمامهم، فإن اعتقادنا في الأئمة أن أحدهم لو عاش وظفر بذلك الحديث الذي صح بعده لأخذ به ثم قال: واعلم أنه لا ينافي ما ذكرناه إلزام العلماء للعامة بالتزام مذهب معين وإن كان لم يرد بذلك شرع بخصوصه لأنهم ما ألزموهم بذلك إلا رحمة بهم من باب ارتكاب أخف المفسدتين، فلولا إلزامهم العامي بمذهب معين لضل عن طريق الهدى لعجزه عن المشي بغير دليل انتهى. وقوله اعمل بالأحاديث التي صحت عند الأئمة يؤيد كلام النووي السابق من أن من أراد العمل بالحديث الصحيح يقلد الإمام الذي أخذ به انتهى. ما اخترت نقله من كتابي (**حجة الله على العالمين**) ومن أراد الزيادة فليراجعه وليراجع شرح المناوي الكبير على الجامع الصغير، والله ولي التيسير.

إذا تقرر ذلك فاعلم أن الجنون فنون، وأن من أقبح فنونه جنون هؤلاء الطلبة الحمقى الذين ظهروا في هذا الزمان السيئ وجعلهم الشيطان ملعبة فحملهم على دعوى الاجتهاد وفهم الكتاب والسنة وأخذ الأحكام منهما بدون حاجة إلى تقليد أحد من أئمة الدين، وصاروا يقولون: هم رجال ونحن رجال، وبعضهم إلى الآن لا يحسن الاستنجاء فضلا عما هو فوق ذلك من أوصاف العلماء، وأين هم من الأئمة الذين أجهدوا نفوسهم في العلوم التي تلزم لفهم الكتاب والسنة ورووا أكثر معانيهما خلفا عن سلف إلى الصحابة الذين شافههم النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها؟ والبعض فهموه بمقتضى أذواقهم وطباعهم السليمة وعربيتهم الصحيحة التي نزل القرآن بها وهي لغة النبي صلى الله عليه وسلم وبحسب قوة استعدادهم وقوة النور

الذي قذفه الله في قلوبهم.

أما نحن الآن فلابد لنا في تفسير كتاب الله تعالى وفهم كلام نبيه صلى الله عليه وسلم من الاطلاع على ما قالوه رواية عنه صلى الله عليه وسلم أو من عند أنفسهم، وكذلك من جاء بعدهم من أئمة السلف الذين كانوا لا يتكلمون في ذلك إلا عن علم صحيح لا بمجرد الظن والتخمين مع قرب عهدهم من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلامة طبائعهم وكثرة تقواهم وشدة تحريهم الصواب وحبهم الحق ورغبتهم في الازدياد من العلم النافع، وهو ما روى عنه صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه وأفنوا أعمارهم في ذلك.

وإذا ادعينا أنا مثلهم فيما ذكر وأنا في مقدرتنا أن نفهم الكتاب والسنة مثل فهمهم ففضلا عن كوننا نكذب ونأثم بذلك نحمل عقلاء الناس على أن يهزأوا بنا ويجعلونا مسخرة على خلاف ما نتوهم في نفوسنا، فلا يدعي ذلك منا إلا ضعفاء العقول والأفهام الذين هم عوام أو شبه العوام. وإذا لم يكونوا أنعاما حقيقة فهم كالأنعام وقد عرفوا من وفرة العقول وصحيح الأفهام، وجعلوا مدار دينهم ودنياهم على زخرفة البدع وبهرجة الكلام، فهؤلاء لا ينقاد العاقل إليهم ولا يعول في أموره الدنيوية فضلا عن الدينية عليهم. والداء العضال هو عجب المرء بنفسه ورضاه عنها، ولو أنصف وعقل وطرد هواه وحكم عقله وتقواه لعرف الحق لأهله ولم يدع ما ليس له، وبالله عليك أيها المنصف هل يجوز لأمثالنا إذا ذكر الشافعي وأبو حنيفة ومالك وأحمد وأمثالهم، ومن هو أعلى منهم كالتابعين والصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ومن هو دونهم كأئمة الفقهاء والمفسرين والمحدثين أن يقول: هم رجال ونحن رجال؟ أف لهذه الدعوة الباطلة الكاذبة وأهلها، والله إني حينما أراهم أو أسمع بهم أستقذر من سيرهم أكثر مما أستقذر من إحدى القاذورات إذا مررت بها، وقد تمكن من بعضهم الشيطان إلى درجة حصل بها اليأس من إصلاحهم فإن أحدهم مع جهله نقص دينه وعقله يعتقد في نفسه أنه علم هدى وإمام مقتدى وأن هذه الأمة

قد ضلت وأنه يريد أن يهديها، فإذا رأى أحدا من الطغام الجاهلين، أو الزنادقة المارقين يستحسن حالته ويوافق ضلالته، يتحقق في نفسه أنه في هذا الزمان بمنزلة أبي حنيفة النعمان، ويستولي على بصيرته ظلام الضلال ويتأكد أنه غير مخطئ بقوله: هم رجال ونحن رجال، وهؤلاء الطلبة السفلة مع كونهم يوجد منهم في أكثر الأمصار إلا أنهم قليلون ممقوتون ثقلاء مستثقلون عند أكثر الناس وهم يعلمون ذلك ويتسترون بشأنهم، وإذا ذاكرهم عالم ينكرون لديه ما ينسب إليهم ويظهرون له أنهم على ما عليه الناس من إتباع المذاهب والاقتداء بأئمة الدين، ويكتمون ذلك إلا على من يأمنون غائلته، وما أحسن ما أنشده في هذا المعنى الإمام الماوردي في كتاب أدب الدنيا والدين:

والستر دون الفاحشات ولا * يلقاك دون الخير من ستر

وقد أثبت الشيطان في نفوسهم الخاسرة وأذهانهم القاصرة أنهم مع هذه الحالة السيئة على الحق وأن علماء الإسلام المتقدمين منهم والمتأخرين، بل الأمة بأسرها ممن لم يكن على ما هم عليه من الضلال مبطلون. فانظر إلى هذه الحماقة والجنون المفسد لدينهم ودنياهم وأحمد الله تعالى إذ لم يجعلك منهم، ووالله ثم والله إني لم أجتمع بأحد من هؤلاء الحمقى المجتهدين إلا تبينت فيه قلة العقل والدين وقلة الحياء والأدب وكثرة الغرور والجهل وفساد الذوق والفهم مع الرقاعة والسماجة والجراءة والإصرار على الباطل الصريح. ومنابذة الحق الظاهر الصحيح، وما أسمجه إذا كان مع ذلك معتقدا في نفسه الصلاح وأنه يتحرى لدينه بالاجتهاد لئلا يضل مع هذه الأمة التي ضلت بزعمه بتقليد الأئمة، وهذا القليل منهم وأكثرهم فساق متجاهرون بأنواع الفسق لا يستحيون من الله ولا من الناس، يقولون بألسنتهم: لا نأخذ ديننا إلا من الكتاب والسنة، وهم لا دين لهم من حيث الأعمال، فهم غارقون في بحار الجهل والفسق والضلال، قد امتزجت أرواحهم الخبيثة بالباطل، ولا يرضيهم الحق بحال من الأحوال.

ومن هؤلاء المجانين قسم يمتاز عن غيره بالرقاعة والسماجة وفساد الذوق وقلة العقل والدين، وهم الذين يلهجون دائما بألسنتهم وأقلامهم بحسن أحوال هذا العصر وأنه عصر العلم والمعرفة والفضل والأدب والتهذيب وكل خير، فتراهم يقولون قد مضى عصر الجهل والتوحش والآن نحن في عصر العلم والتمدن وينسبون كل شيء يستحسنونه ويريدون مدحه إلى هذا العصر السعيد بزعمهم؛ فيقولون: العلوم العصرية، والأفكار العصرية، والأخلاق العصرية، والتمدنات العصرية، وتارة يقولون إن الناس قد تمدنوا وتنوروا وتفتحت عيونهم، وزالت تلك الهمجية والتوحش، وما أشبه ذلك من العبارات الباردة الكاذبة التي هي من أعظم الأدلة على أن الناطق بها، ولا سيما إذا كان من المسلمين من أثقل الثقلاء وأجهل الجهلاء، ليس له ذوق سليم، ولا فكر مستقيم، ولا يفهم الفرق بين الباطل والحق. ووجه ذاك أن الحسن عندنا معاشر المسلمين ما وافق الشرع، والقبيح ما خالف الشرع، والعصر الذي يستحسنه الشرع هو الذي تجرى فيه أحكامه ويغلب على الناس فيه الدين وإطاعة أوامر الله تعالى واجتناب مناهيه. ولذلك ورد في حديث البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**خير الناس قرني**) وفي رواية (**قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**) وذلك لأن الدين في تلك الأعصار الثلاثة كان في غاية القوة فكانت خير القرون، وإنما كانت خيرتها على الترتيب لأن قوة الدين فيها كذلك على الترتيب.

وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على ضعف الدين في آخر الزمان، وها نحن نشاهد مصداقها الآن، هذه الصلاة لا يشك أحد بأنها من أعظم أركان الدين، وتاركها كافر على بعض المذاهب، ومن أفسق الفساق عند باقيها، ومع ذلك نرى كثيرا من فساق المسلمين، وأخص منهم هؤلاء المجتهدين المجانين تاركين لها بلا مبالاة ولا خوف ولا حياء، وإذا أنكر عليهم عالم أو صالح يهزؤن به ولا يؤثر فيهم إنكاره شيئا، وقس عليها غيرها من الفروض الدينية والأمور الشرعية، وانظر إلى علماء

الدين تجدهم غالبا أذل الناس وأقلهم مالا وأسوأهم حالا، ولذلك حصل الزهد في طلب العلوم الدينية مع كونها أصل السعادة الأبدية. وزاد الطين بلة إن من يطلب العلم لأسباب تحمله على الطلب مهما كان من شأنها دنيوية أو أخروية، وربما اجتمع على بعض هؤلاء المخذولين وتعلم منهم بعض مبادئ العلوم أو شاركهم في الدروس على المشايخ فينفثون فيه سم دعاويهم الباطلة فلا يمضي عليه مدة يسيرة إلا وقد وقع في شباكهم وصار منهم إماما مجتهدا يعترض على أئمة الأمة وعلمائها ومحدثيها وفقهائها وصوفيتها وصلحائها، ويصير بحالة سيئة كان بقاؤه على الجهل أحسن منها، والأمر في ذلك بازدياد، كما ورد في حديث البخاري عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(لا يأتي عليكم عام ولا يوم إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم)** وهذا مما لا خفاء فيه، فإن كل واحد منا إذا نظر لما شاهده في نفسه من أول عمره في شؤون الدين يجد الفرق ظاهرا بين المتقدم والمتأخر من أيام عمره. وقد علمت أن الخيرية الواردة فيما يتعلق بالزمان بقوله صلى الله عليه وسلم **(خير القرون قرني)** هي خيرية الدين وقوته فيه، وكذلك يكون معنى الشرية الواردة في شأن الزمان في هذا الحديث، فشريته إنما هي في ضعف الدين فيه.

أما البحث عن أسباب قوة الدين وضعفه فله شرح يطول لا يحتمله المقام، ولا يخفى على ذوي الأفهام، والمسلم العاقل يجتهد في سلامة دينه بقدر استطاعته.

وقصدي مما ذكرته هنا بيان أن هذا العصر ليس كما يزعمه أولئك الجهلة من أنه أحسن العصور ويتبجحون بذلك في عباراتهم، والحامل لهم على هذا إنما هو المناسبة القوية بينهم وبينه، فإنهم بفساد طبائعهم حصلت المشاكلة بينهم وبينه فأحبوه وصاروا يتبجحون بمدحه ويفتخرون بأنهم من أهل الأفكار العصرية والأخلاق المرضية. أما أصحاب الأذواق السليمة الدينية، وفهم لا تعجبهم هذه الأخلاق بالكلية لأن مبناها على البهرجة وترك الدين وقلة الحياء وعدم المبالاة بالآداب الشرعية واستحسان القبيح من العوائد الإفرنجية وتقبيح الحسن من العوائد

الإسلامية، فهذا العصر في الحقيقة هو ثفالة العصور وعصارة الشرور، وقرارة الفسوق والفجور، وغير ذلك من مساوي الأمور، ومع ظهور ذلك نرى هؤلاء الطلبة الأشرار الأغمار، ومن كان على شاكلتهم من الجهال الأشرار قد فسدت طباعهم واستحالت أحوالهم؛ فهم لا يزالون يلهجون بمدح هذا العصر وعوائده، ويتبجحون بكثرة فضائله وفوائده، ولا يكاد يخلو من ذلك مجلس من مجالسهم؛ ولا مقالة من كتاباتهم، ومن عجيب أمرهم وغريب شرهم وضرهم أنهم يحاولون أن يجعلوا الأمور الدينية على مقتضى الأحوال العصرية حتى إني سمعت مرارا من بعضهم لزوم تأليف تفسير للقرآن على مقتضى الأذواق العصرية. وسمعت من رجل منهم أنه سيفعل ذلك ويؤلف تفسيرا بهذه الصفة التي توافق هذا العصر وهو في نفسه لا يقدر على فهم متن الآجرومية.

وقال لي بعض من يجتمع عليهم ويسمع كلامهم، وقد ثبت في ذهنه بعض نزعاتهم هذه وظنها حقا: قد نفعت بتأليفك المسلمين نفعا عظيما؛ ولكن بقي عليك شيء واحد فقلت له ما هو؟ قال: أن تؤلف تفسيرا للقرآن على مقتضى الأذواق العصرية فإن هذه التفاسير الموجودة قد ألفوها على مقتضى أذواق أهل العصور السالفة وقد تغير الحال الآن، واختلفت أذواق الناس ومشاربهم. فيلزم تأليف تفسير يوافقهم، فأجبت بأني لست أهلا لذلك، وبيني وبين مرتبة التفسير درجات كثيرة لا يمكنني الوصول إليها، وتآليفي كلها جمع فوائد وأكثرها في شئون النبي صلى الله عليه وسلم من فضائله ومعجزاته ومدائحه، ونحو ذلك مما لا رأي لي فيه، وإنما هو نقل صرف وتفسير القرآن قد فرغ منه العلماء ونقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن بعدهم من أئمة الدين، ودونوه في تفاسيرهم هذه الموجودة وهي كافية وافية، وهي كما وافقت أهل العصور السابقة توافق أهل هذا العصر، فإن الأحكام الشرعية التي اشتمل عليها القرآن هي صالحة لكل إنسان، وقد استوت فيها العصور والأزمان، وليس للقرآن معان خاصة بأهل العصور السابقة ومعان أخرى

خاصة بأهل العصور اللاحقة.

وأما الأذواق والمشارب فهي إن كانت موافقة للشرع فمطلوبها يوجد في هذه التفاسير، وإن كانت مخالفة للشرع فكيف يمكن أن يفسر القرآن بمعان توافق هذه الأذواق الفاسدة والمشارب الكاسدة، ونحن لا يجوز لنا أن نفسر القرآن بعقولنا ونطبقه على الأذواق العصرية كما يقوله السفهاء المخذولون، ويتجاسرون على دعوى اقتدارهم على تفسير كلام الله تعالى بأفهامهم السقيمة وعقولهم الناقصة، فإن تفسير القرآن بالرأي ممنوع شرعا. وأنقل هنا بعض ما قالوه في الفرق بين التفسير والتأويل. قال في الإتقان بعد أن ساق أقوالا كثيرة وقال قوم: إن ما وقع مبينا في كتاب الله ومعينا في صحيح السنة، سمي **تفسيرا** لأن معناه قد ظهر ووضح وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد ولا غيره بل يحمله على المعنى الذي ورد لا يتعداه.

والتأويل: ما استنبطه العلماء العاملون بمعاني الخطاب الماهرون في آلات العلوم اهـ. فانظر إلى قوله العلماء العاملون تعلم أن فسقة العلماء ليسوا أهلا لذلك وإن كانوا ماهرين في آلات العلوم فضلا عن غير الماهرين فإنهم لفسقهم غير مأمونين على ما يستنبطونه من كلام الله تعالى. فربما يستنبطون المعاني التي تناسب سوء أحوالهم وما هم عليه من الفسق محافظة على بقاء ناموسهم في أعين الناس.

قال الإمام ابن جرير الطبري في أوائل تفسيره: من شرط المفسر صحة الاعتقاد أولا ولزوم السنة، فإن كان معترضا عليه في دينه فلا يؤتمن على إخباره عن أسرار الله تعالى لأنه لا يؤمن إن كان متهما بالإلحاد أن يبغي الفتنة ويضر الناس بخداعه، ثم قال: ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ومن عاصرهم إلى آخر ما نقله عنه الإمام الزبيدي في أواخر الجزء الرابع من شرح الإحياء، ولا يخفى أن الديانة والأمانة من جملة شروط المفسر فضلا عن اشتراط إمامته في علوم كثيرة ذكرها هناك، ولا أظن أنه يوجد الآن أحد من علماء العصر قد استوفاها بحيث يجوز له أن يفسر كتاب الله تعالى برأيه من دون

اعتماد على تفاسير الأئمة السابقين، وكفى العالم فضلا وإمامة في هذا الزمان أن يحفظ كلام أئمة السلف الصالح ويورده على وجهه بدون أن يتصرف فيه بفهمه القاصر عن أفهامهم بيقين مع قربهم من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وتوفر الشروط فيهم من كثرة العلم والعمل دون توفرها فيه، وإذا ادعى مساواتهم كانت المصيبة أعظم. وعلى كل حال إتباع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعيهم هو لموافقة الصواب أقوى وأقوم، ولدين المؤمن أحوط وأسلم. ولو فرضنا أن غيرهم جمع كافة شروط أئمة التفسير وصار في كل علم عديم النظير فضلا عن هؤلاء الطلبة المخذولين الذين هم من أعظم المصائب على الإسلام والمسلمين.

والحاصل: أن هذه الفرقة المخدوعة المخذولة من طلبة زماننا في غاية الغباوة ونقص العقل والدين وقد عظم ضررهم على أنفسهم وعلى من يخالطهم ويصغي إلى كلامهم من المسلمين، فإنهم مع جمعهم لعقائد شتى من عقائد أهل الزيغ والبدع والوهابية وغيرهم واستحسانهم ضلالاتهم هم أضر منهم بكثير، وذلك أن الوهابية قوم أهل بدعة ظهروا بها في بلاد نجد وانتشر مذهبهم إلى ما حوليهم من البلاد، ثم تقلص ظلهم وقلوا وذلوا وانحصروا في أرضهم، وهم مع كونهم حنابلة أنكر عليهم علماء مذهب الإمام أحمد ما هم عليه من الغلو في الدين وتضليل المسلمين.

أما هذه الفرقة الجديدة فهي مؤلفة من سائر المذاهب بدون علم ولا تقوى ولا قواعد يستندون إليها كسائر الفرق، وإنما الجامع بينهم فساد الأفكار والاعتراض على الأئمة الأخيار، وهم يختلطون بالناس ويكتبون آراءهم الفاسدة وضلالاتهم المضرة في بعض الجرائد، وينشرونها في سائر الجهات باسم علماء وكتاب من أهل السنة والجماعة بحسب زعمهم؛ فالعلماء العارفون الصلحاء متى اطلعوا على كلامهم يستحقرونه فيعرضون عنه ولا يراجعون قراءته لمخالفته لأحكام الدين ومذاهب أئمة المسلمين، فهم لا ضرر عليهم منه، لكن العوام ربما استحسنوا شيئا منه لجهلهم

فيدخل عليهم الخلل في دينهم ويلتبس عليهم باطل هؤلاء بالحق الذي سمعوه من علمائهم، فتشتبه عليهم الأمور وتزيد الشرور فقد علم أنهم أضر بكثير من الوهابية وأمثالهم من الفرق المعلومة عند الناس.

فالحذر الحذر من هذه الفرقة الجديدة المنابذة لمذاهب أئمة الدين، المخالفة لجمهور المسلمين، المتبعة في ذلك غير سبيل المؤمنين، وكل من يحب الله ورسوله ودينه يحترس من هؤلاء الطلبة المناحيس فإنهم من أعظم جنود إبليس، جهزهم في هذا العصر السيئ ليحارب بهم عقائد المسلمين. وقد جعلهم أقوى أعوانه على إضلال المهتدين ومن كان منهم قد حصل شيئا من العلوم العقلية والنقلية كان ضرره على الناس أكثر من ضرر من كان أقل منه تحصيلا، فقد اتخذ تلك العلوم ذرائع للفساد وإضلال العباد، وما أحسن ما نقله سيدي عبد الوهاب الشعراني في الطبقات عن شيخه الخواص قال: سمعت سيدي إبراهيم المتبولي يقول: زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة الماء في أصول الشجر الحنظل، فكلما ازداد ريا ازداد مرارة اهـ.

ومن أوصافهم الذميمة التي يتميزون بها عن غيرهم كثرة مجادلتهم ومخاصمتهم وشدة المحاماة عن باطلهم إذا أمنوا من الضر، لا سيما من كان منهم في بلاد تجاهر فساقها بقلة الحياء والدين كبلاد مصر.

روى الإمام أحمد وغيره عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**)، ثم تلا هذه الآية (**بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ** * الزخرف: ٥٨)

قال الإمام الحفني في حاشيته على الجامع الصغير: قوله (**أوتوا الجدل**) أي الخصومة بالباطل، فمتى تبع قوم هوى أنفسهم ابتلاهم الله تعالى بالجدل اهـ. ولا أقول إن هؤلاء الجماعة كفار فإني لم يبلغني عنهم شيء من المكفرات، وإنما أقول إن ما هم فيه من الدعاوي الكاذبة، والأفكار السقيمة الذميمة والآراء المضرة الوخيمة التي لهجوا بها في شئون الدين مما تقدم بيانه هي من أشد أنواع الضلال، وأقبح أنواع

الفسق، وأسوأ أنواع البدع، وأشر أنواع المعاصي، وأضرها على أنفسهم وعلى الدين والمسلمين. إذ هم مع كونهم في الأصل من أهل السنة والجماعة من مذاهب شتى: بعضهم حنفي، وبعضهم شافعي، وبعضهم مالكي، وبعضهم حنبلي تجردوا من جميع هذه المذاهب وصاروا فرقة ملفقة، دينها وديدنها الاعتراض على أئمة الأمة وعلمائها وصوفيتها وصلحائها وأوليائها وأصفيائها، وقد جاوزوا بذلك حدهم وفقدوا رشدهم وهم يظنون أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً، ويسوقون للأمة هداية ونفعا، وما علموا أنهم يكتبون بذلك قبيح الآثام ويكونون سببا في إضلال الأنام، فيستهينون بالعلماء وهم هداة الإسلام فيقل أو يزول بهم انتفاعهم وتسوء أخلاقهم وأوضاعهم ولا سيما في هذا الزمن الكاسد الذي كسد فيه العلم النافع وأهله.

واعلم أن الدين إنما يؤخذ عن العلماء الأمناء والكتب المعتمدة لا عن هذه الجرائد المنتقدة، وأن دين الإسلام كما أنه أصح الأديان دراية هو أصح الأديان رواية فقد رواه الأئمة المتقون والحفاظ المتقنون والثقات الصادقون والعلماء العاملون وألفوا الكتب للبحث في أحوال الرواة خاصة حتى لا يدخل على هذا الدين المبين شيء ليس منه من الأحكام المكذوبة المختلقة من وضع أهل الفسق والزندقة الذين رموا الأئمة بما روي عنهم ظهريا، واتخذوا رواياتهم شيئا فريا ونبهوا عليها وحذروا الناس منها، ودققوا غاية التدقيق في رواة الزمان الأول الذين كانوا لا يدعى العلم منهم غير العلماء فضلا عن دعوى الاجتهاد المطلق من السفهاء وكان المتهم بالكذب والفسق منهم أصدق وأتقى لله بدرجات كثيرة من هؤلاء المجتهدين الكذابين الجهال الفساق المجانين الذين إن لم يكونوا شياطين فهم من إخوان الشياطين، وإذا كانت أحكام الدين المروية عن أولئك المتهمين الأولين بهذه الحالة من السقوط وعدم الاعتبار عند أئمة الإسلام فكيف ترى أحكام الدين المروية عن هؤلاء المجرمين الآخرين، لا شك أن هؤلاء الأشرار أولى بعدم الاعتبار، إذ هم أشد فسقا بكثير لما هو مشاهد من ترك كثير منهم الصلوات وارتكابهم أنواع المحرمات.

أما الكذب فهو شعارهم ودثارهم ولو لم يكن منه إلا دعواهم الاجتهاد المطلق وهم في غاية الجهل والحماقة لكفى ذلك دليلا على أنهم أكذب الناس، فكيف تؤخذ عنه أحكام دين الإسلام وتحليل الحلال وتحريم الحرام، وزد على ذلك طعنهم في الأئمة السابقين والعلماء العاملين والأولياء الصالحين رضي الله عنهم أجمعين. لعمري إن أخذ الدين عن النساء والأطفال وأجهل الجهال هو بالاعتبار أولى وأحرى من أخذه عن هؤلاء السفهاء الضلال، على أنهم لا يروون حماقاتهم في الغالب عن إمام معلوم، ولا يسندون خزعبلاتهم إلى دليل مفهوم، ويفتخرون بأنهم يستنبطون الأحكام بزعمهم الكاذب من الكتاب والسنة ولا يتبعون إماما من أئمة الأمة، فدينهم في الحقيقة تابع لهواهم، وقد قال صلى الله عليه وسلم (**إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم**) ورواه الحاكم عن أنس. قال العزيزي في شرحه: إن هذا العلم: أي الشرعي صادق بالتفسير والحديث والفقه. وقال بعد قوله عليه الصلاة والسلام (**فانظروا عمن تأخذون دينكم**) أي لا تأخذوه إلا عمن طابت سيرته وسريرته وتحققتم أمانته اهــ.

وقال الإمام ابن حجر في شرح الشمائل عند قول الترمذي عن ابن سيرين قال: هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، وجه الختم بهذا الترغيب في علم السنة لا سيما عند الارتباك في البلاء والمحن والاحتياط في أخذه، فيتحرى له أهل الدين دون غيرهم اهــ.

وقال الإمام المناوي في آخر شرحه عليها عند قوله (**فانظروا عمن تأخذون دينكم**) أخرج الشافعي عن عروة أنه كان يسمع الحديث فيستحسنه ولا يرويه لكونه لا يثق ببعض رواته لئلا يؤخذ عنه، وهذا مسوق لبيان الاحتياط في الرواية والتثبت في النقل واعتبار من يؤخذ عنه والكشف عن حال رجاله واحدا بعد واحد حتى لا يكون فيهم مجروح ولا منكر الحديث ولا مغفل ولا كذاب ولا من يتطرق إليه طعن في قول أو فعل، فمن كان فيه خلل فترك الأخذ عنه واجب لمن عقل اهــ.

وقد روى الخطيب وغيره عن الحبر مرفوعا (**لا تأخذوا الحديث إلا عمن تجيزون شهادته**) وروى ابن عساكر عن مالك لا تحمل العلم عن أهل البدع ولا تحمله عمن لم يعرف بالطلب ولا عمن يكذب في حديث الناس، وإن كان في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكذب اهـ. كلام المناوي.

وقال شيخ مشايخي الإمام العلامة الشيخ إبراهيم الباجوري المصري في آخر حاشيته على الشمائل عند قوله: (**فانظروا عمن تأخذون دينكم**): أي تأملوا عمن تروون دينكم فلا ترووه إلا عمن تحققتم أهليته بأن يكون من العدول الثقات المتقنين، وفي رواية الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا (**العلم دين والصلاة دين، فانظروا عمن تأخذون هذا العلم وكيف تصلون هذه الصلاة فإنكم تسألون يوم القيامة**) وفي الجامع الصغير (**إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم**) وهذا العلم المراد به العلم الشرعي الصادق بالتفسير والحديث والفقه، ولا شك أن هذه الثلاثة هي الدين وما عداها تابع لها اهـ.

وقد علمت حال دين هؤلاء المبتدعين الفساق وما هم عليه من الضلال المبين ومخالفة سبيل المؤمنين، فمن شاء أن يكون منهم فليأخذ دينه عنهم، من شاء أن يسلم دينه وعقيدته من الشك والارتياب ومخالفة ما عليه المسلمون من أهل المذاهب الأربعة في سائر الأعصار والأحقاب، فليجتنبهم كل الاجتناب ويحافظ كل المحافظة على إتباع أحكام مذهبه والاقتداء بعلماء أهل السنة والجماعة الهداة المهديين من أهل المذاهب الأربعة سوى من اشتهر منهم ببدعة كابن تيمية ومن وافقه على سقطاته التي خالف بها جمهور علماء الدين وأئمة المسلمين، وصار بذلك أحدوثة في العالمين وهو إمام هؤلاء الطلبة المبتدعين فيما خالفوا فيه مذاهب المسلمين من منع الاستغاثة والسفر لزيارة سيد المرسلين وسائر الأنبياء والصالحين صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين.

ولكون شأن هؤلاء المخذولين المغرورين مبنيا على زخرفة الألفاظ والتظاهر

بأن مقصودهم نصرة الدين وهداية الأمة وخدمة الإسلام والمسلمين صارت حالتهم تعجب بعض المغفلين من طلبة العلم، فلم تمض عليهم مدة سمعوا فيها زخارفهم وتمويهاهم وطالعوا كتاباهم حتى صاروا من جملتهم، ومن شأن هؤلاء الفساق المفتونين أن جعلوا ديدهم تتبع عثرات العلماء يستخرجوها من كتبهم ويقولون: فلان الفقيه مثلا قال في كتاب كذا، ويعترضون عليه ويسوقون الاعتراض على جميع الفقهاء من جميع المذاهب ليس على ذلك الفقيه فقط ويرون عبارة مستهجنة لمحدث مثلا فينقلوها ويعترضون عليها وعلى سائر المحدثين معه، ويرون عبارة غامضة لصوفي فيشنعون عليه وعلى سائر الصوفية معه، ويرون في أحد التفاسير حديثا موضوعا أو قصة إسرائيلية، فيشنعون على ذلك المفسر وسائر المفسرين، وهكذا عملهم في جميع طوائف علماء الدين.

ومن العجب أنه يوجد منهم جماعة في كثير من البلاد الإسلامية كأن الشيطان نفث في قلوبهم هذه الضلالات والترهات في آن واحد، وصارت أخبار بعضهم تتصل ببعض بحيث أنهم ينتصر بعضهم لبعض على البعد كأنهم أهل مذهب واحد ولا مذهب في الحقيقة، بل هم مثل البهائم السائمة، وأكثرهم جهال ضلال تاركون للصلاة والعبادات غارقون بأنواع الفسادات. دينهم كلام في كلام، ويقينهم مركب من الشكوك والأوهام، كل واحد منهم يزعم في نفسه أنه إمام لا يحتاج إلى تقليد أحد من أئمة الإسلام، وضالتهم المنشودة وطلبتهم المقصودة مسألة يشوشون بها أفكار عوام المسلمين ويعترضون بها على أئمة الدين، فإذا وجدوا مسألة من هذا القبيل لعالم قديم زل بها وقد نبه العلماء على خطئه فيها وأنها زلة من زلاته وهفوة من هفواته تراهم ينشروها ويثنون على ذلك العالم غاية الثناء من الجهة التي ذمه بها العلماء.

ومن ذلك ما وقع للإمام ابن تيمية رحمه الله وعفا عنه من المسائل التي زاغ بها عن الصواب ودخل إلى لومه العلماء بسببها من كل باب، فترى هؤلاء الطغام

حريصين على نشرها غاية الحرص، فيجتهدون للحصول على الكتب التي اشتملت عليها من أقاصي البلاد ويطبعونها وينشرونها لإضلال العباد «**وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً** * الكهف: ١٠٤) وقد طبعوا إلى الآن عدة كتب منها. فمنها ما صرح به بشرك المستغيثين بسيد المرسلين وسائر النبيين وعباد الله الصالحين، ومنها كتاب سماه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان جعل فيه من القسم الثاني جماعة من أكابر الأولياء كسيدي محي الدين ابن العربي رضي الله عنه ونفعنا ببركاته حتى كفره، وهو سلطان العارفين وإمام العلماء العاملين.

ثم كلما وقع في يدهم كتاب من هذا القبيل يسارعون إلى طبعه ونشره ومن ذلك كتاب ابن القيم المسمى إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان تبع فيه شيخه ابن تيمية على زلاته، وشنع كل التشنيع على الزائرين والمستغيثين بخير الأنام وغيره من الأنبياء والأولياء الكرام، ومثله ابن عبد الهادي في كتابه الصارم المبكي[١] في الرد على السبكي وهو بئس الكتاب (**رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** * آل عمران: ٨) والحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به من الزيغ في ذلك عن جادة هواه و (**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ** * الأعراف: ٤٣) وها أنا أختم هذه الرسالة بأبيات من قصيدة: طيبة الغراء في مدح سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم. وسعادة المعاد في موازنة بانت سعاد تناسب هذا المقام ويحصل بها حسن الختام، وهي قولي في الهمزية مخاطبا له صلى الله عليه وسلم:

فتقبل واعطف وكن لي شفيعا * يوم تحتاج فضلك الشفعاء
وأجرني وعترتي من زماني * فدواهيه كلها دهياء
عاد فيه الدين المبين كما قلـــ * ـــت غريبا وأهله غرباء

---

(١) (قوله المبكي) هكذا تكرر من المؤلف تسمية هذا الكتاب بذلك، والمشهور المنكي، فلعل المؤلف اطلع على صحة ذلك فليتأمل اهـــ مصححه

فتداركه قبل أن تخطر الـــ * ـــأخطار فاليوم مسه الإعياء

وتكرم بشده فقواه * نالها بالشدائد استرخاء

صار للشرك في أذاه اشتراك * حين ما للنفاق عنه انتفاء

كم أبو جهل استطال على الديـــ * ـــن وكم ذا أزرت به الجهلاء

ولكم في ثيابه ابن سلول * شاكه من نفاقه سلاء

ما اغتراري بمن تلون منهم * والأفاعي أشرها الرقطاء

تَأْرِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَةِ

في السياسة والعقائد

تأليف

الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة

نبذة من الجزء الأول من كتاب تأريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد

بِسْمِ اللهِ الرَحْمَنِ الرَّحِيمِ

الوهابية

٣- ظهرت الوهابية في الصحراء العربية، نتيجة للإفراط في تقديس الأشخاص والتبرك بهم، وطلب القربى من الله بزيارتهم، ونتيجة لكثرة البدع التي ليست من الدين، وقد سادت هذه البدع في المواسم الدينية، والأعمال الدنيوية.

فجاءت الوهابية لمقاومة كل هذا، وأحيت مذهب ابن تيمية.

ومنشئ الوهابية هو محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ١٧٨٧ ميلادية، وقد درس مؤلفات ابن تيمية فراقت في نظره، وتعمق فيها، وأخرجها من حيز النظر إلى حيز العمل، وإنهم في الحقيقة لم يزيدوا بالنسبة للعقائد شيئا عما جاء به ابن تيمية، ولكنهم شددوا فيها أكثر مما تشدد. وترتبوا أمورا عملية لم يكن قد تعرض لها ابن تيمية لأنها لم تشتهر في عهده ويتلخص ذلك فيما يأتي:

١- لم يكتفوا بجعل العبادة كما قررها الإسلام في القرآن والسنة وكما ذكر ابن تيمية، بل أرادوا أن تكون العادات أيضا غير خارجة على نطاق الإسلام فيلتزم المسلمون ما التزم، ولذا حرموا الدخان. وشددوا في التحريم، حتى إن العامة منهم يعتبرون المدخن كالمشرك. فكانوا يشبهون الخوارج الذين كانوا يكفرون مرتكب الذنب.

٢- وكانوا في أول أمرهم يحرمون على أنفسهم القهوة وما يماثلها، ولكن يظهر أن ذلك تساهلوا فيها فيما بعد.

٣- أن الوهابية لم تقتصر على الدعوة المجردة، بل عمدت إلى حمل السيف لمحاربة المخالفين لهم باعتبار أنهم يحاربون البدع، وهي منكر تجب محاربته، ويجب الأخذ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك لتحقيق قوله تعالى (**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً** لَهُم * آل عمران: ١١٠) ولقد قاد الفكرة الوهابية في ميدان الحرب والصراع ***محمد بن سعود***، جد الأسرة السعودية الحاكمة للأراضي العربية، وقد كان صهرا للشيخ محمد بن عبد الوهاب واعتنق مذهبه، وتحمس له، وأخذ يدعو إلى الفكرة بقوة السيف، وأعلن أنه يفعل ذلك لإقامة السنة وإماتة البدعة، ولعل هذه الدعوة الدينية التي أخذت طابع العنف كانت تحمل معها تمردا على حكم العثمانيين، ومهما يكن من أمر فقد استمرت الدعوة مؤيدة بقوة السلاح، فجردت الدولة العثمانية لها القوة ولكنها لم تنتصر عليها، و لم تقو على القضاء على قوتها حتى تصدى والي مصر محمد علي لها فانقض على الوهابيين بجيشه القوي، وهزمهم في عدة معارك، وعندئذ انقبضت القوة المسلحة، واقتصرت على القبائل العربية، وكانت الرياض وما حولها مركزا لهذه الدعوة المستمرة التي كانت تعنف إن وجدت قوة وتنقبض إن وجدت مقاومة عنيفة.

٤- أنها كانت كلما مكن لها من قرية أو مدينة أتت على الأضرحة هدما وتخريبا، حتى لقد أطلق عليها بعض الكتاب الأوربيين وصف «هدامي المعابد» ولعل ذلك الوصف فيه بعض المبالغة، لأن الأضرحة ليست معابد، ولكن يظهر أنهم كانوا يهدمون المسجد مع الضريح أخذا من الخبر الذي استنكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم عمل بني إسرائيل إذا اتخذوا من قبور أنبيائهم مساجد.

٥- و لم يقف عنفهم عند هذا فإنهم جاءوا إلى القبور الظاهرة فهدموها - ولما آل إليهم السلطان في البلاد الحجازية هدموا كل قبور الصحابة وسووها بالأرض، و لم يبق منها الآن إلا إشارات تومئ، إلى موضع القبر، وقد أجازوا زيارتها والاقتصار

في الزيارة على تحية صاحب القبر، يقول الزائر «السلام عليك»

٦- أنهم تعلقوا بأمور صغيرة ليس فيها وثنية ولا ما يؤدي إلى وثنية، وأعلنوا استنكارها. مثل التصوير الفوتوغرافي. ولذا وجدنا ذلك في فتاواهم ورسائلهم التي يكتبها علماؤهم وإن كان أمراؤهم لا يلتفتون في هذا إلى أقوالهم ويضربون بها عرض الحائط.

٧- أنهم توسعوا في معنى البدعة توسعا غريبا حتى إنهم ليزعمون أن وضع ستائر على الروضة الشريفة أمر بدعي، ولذلك منعوا تجديد الستائر التي عليها، حتى صارت أسمالا بالية تقذى بها الأعين، لولا النور الذي يضفي على من يكون في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم، أو يحس أنه في هذا المكان كان منْزل الوحي على سيد المرسلين.

وإنا لنجد فوق ذلك منهم من يعد قول المسلم سيدنا محمد بدعة لا تجوز ويغلون في ذلك غلوا شديدا، وفي سبيل دعوتهم يعنفون في القول، حتى إن أكثر الناس لينفرون منهم أشد النفور.

٨- وفي الحق أن الوهابيين قد حققوا آراء ابن تيمية وتحمسوا لها تحمسا شديدا، وما شرحناه من رأي ابن تيمية عند الكلام على مذهب الذين سموا أنفسهم سلفيين قد أخذوا به، ولكنهم توسعوا في معنى البدعة، فتوهموا أمورا لا صلة لها بالعبادات بدعا، مع أن البدع على التحقيق هي الأمور التي يفعلها العباد على أنها من العبادات، ويتقربون بها إلى الله تعالى ولم يجئ بها أصل ديني، فوضع ستائر على الروضة الشريفة مثلا لم يقل أحد إن ذلك فيه عبادة بأي نوع من أنواعها، إنما يفعلون ذلك تزيينا لها لتسر الناظرين رؤيتها. كالشأن في زخارف المسجد النبوي، فكان غريبا أن يستنكروا تلك الستائر ولا يستنكروا تلك الزخارف، ولأن هذا تفريق بين المتماثلين.

وإنه يلاحظ أن علماء الوهابيين يفرضون في آرائهم الصواب الذي لا يقبل

الخطأ، وفي آراء غيرهم الخطأ الذي لا يقبل التصويت، بل إنهم يعتبرون ما عليه غيرهم من إقامة الأضرحة والطواف حولها قريبا من الوثنية، وهم في هذا يقاربون الخوارج الذين كانوا يكفرون مخالفيهم ويقاتلونهم كما ذكرنا. ولقد كان ذلك لا ضرر منه أيام أن كانوا قابعين في الصحراء لا يتجاوزونها ولكن وقد اختلطوا بغيرهم لما آل الأمر في البلاد الحجازية إلى آل سعود فإن الأمر يكون خطيرا ولذلك تصدى لهم الملك الراحل عبد العزيز آل سعود وجعل آراءهم لأنفسهم دون غيرهم، وسار في هذا شوطا بعيدا، حتى إنه صنع ستائر للروضة بدل تلك الأسمال البالية. ولكنه أجل وضع الجديد في موضع القديم، حتم يتم تجديد المسجد النبوي. وقد مات قبل ذلك، والمرجو أن ينفذ خليفته ما كان قد اعتزم.

البهائية

٤- هذا مذهب كان منشؤه من الإثنا عشرية، وإن ذكرنا لذلك المذهب في هذا الكتاب لا يصح أن يتخذ دليلا على أنه مذهب إسلامي - ولكن لأنه مذهب نشأ بين المسلمين ومنشؤه كان منتميا لمذهب إسلامي - وجب علينا ذكره مع خروجه عن المبادئ الإسلامية التي أجمع عليها المسلمون، والتي تعتبر المقومات الحقيقية لهذا الدين الحكيم.

وإن منشئ هذا المذهب قد ولد بإيران حوالي سنة ١٢٥٢ هـــ الموافق سنة ١٨٢٠ ميلادية، وهو ميرزا علي محمد الشيرازي، وقد كان اثنا عشريا، ولكنه تجاوز حدود ذلك المذهب، وجمع بينه وبين آراء منحرفة في المذهب الإسماعيلي وفكرة الحلول التي قالها السبئيون. فجاء من هذا بمزيج واضح البعد عن العقيدة الإسلامية.

إنه من المقرر أن المذهب الإثنا عشري فيه الإمام المستور، فإن الإمام الثاني عشر غيب في سرّ من رأى، وهم ينتظرون حضوره، وإن ميرزا علي محمد اعتقد هذا ابتداء كما كان يعتقد كل الإماميين الإثنا عشريين، وهم أكثر أهل فارس الذي نشأ فيه ذلك الشباب، وقد أظهر نبوغا وغيرة على المذاهب جعلت الأنظار تتجه إليه،

وقد كان منصرفا إلى دراسات نفسية وتأملات فلسفية، فكان تشجيع الناس له سببا في أن خرج على الناس بفكرة أنه وحده الناطق بعلم ذلك الإمام المستور، وأنه الباب إليه إذ أن ذلك الإمام المستور على مقتضى المذهب كغيره من أئمة الإثناء عشرية أوتي بمقتضى الوصاية التي اختص بها ممن سبقه - علما يتبع، وهو مصدر الهداية والمعرفة.

بهذا الفرض الذي فرض به أنه أوتي علم الإمام النوراني أصبح عند أتباعه حجة فيما يقول لا معقب لقوله. كشأن الإمام تماما. فوجد من أتباعه طاعة مطلقة وتلقيا لكل ما يقوله بالقبول.

ولقد غالى من بعد ذلك فأطرح فكرة أنه ينقل علم الإمام، وادعى أنه المهدي الذي سيظهر بعد ألف سنة من غيبة الإمام الذي غيب سنة ٢٦٠ هـ. وادعى أن الله حل فيه. وأنه هو الذي به يظهر الله لخلقه. وأنه السبيل لظهور موسى وعيسى في آخر الزمان، فلم يكتف برجوع عيسى. كما هو الاعتقاد العام بل أضاف إليه موسى وذكر أنه هو السبيل إلى عودتهما.

ولما ادعى لنفسه ما ادعى وجد مصدقين متخذين لما يقول لانجذابهم لشخصه، ولكن ناوأه كل علماء الدين لا فرق في ذلك بين إمامي وغير إمامي لأن ما زعمه لنفسه من مترلة مناقض تمام المناقضة للحائق الإسلامية والعقائد التي جاء بها القرآن. ولم يرع بمناوأة العلماء، بل أخذ ينفر الناس منهم ويرميهم بالنفاق والمطامع الدنيوية وتملق ذوي السلطان فوجد مستمعين لكل ما يقول، وقد اتبعوه من غير أي حجة ولا سلطان من الحق.

٥- وبعد أن ادعى لنفسه ما ادعى أخذ يعلن أمورا اعتقادية أخرى عملية.

(أ) فمن الأمور الاعتقادية عدم إيمانه باليوم الآخر، وأن هناك جنة يثاب بها المؤمن، ونارا يعاقب بها، وأن ذلك بعد الحساب، ويعترف أن ما يسمى بلقاء الله واليوم الآخر ليس إلا رموزا لحياة روحية متجددة.

(ب) ومن الأمور الاعتقادية التي دعا إليها الإيمان بأنه الممثل الحقيقي لكل الأنبياء السابقين، وأنه تتجمع فيه كل الرسلات الإلهية، وأنه لهذا يلتقي عنده كل أهل الديانات، ففي البابية، تلتقي اليهود والنصرانية والإسلام، ولا فارق بينها.

(ح) اعتقاده بالحلول، وحلول الله فيه بالفعل.

(د) عدم اعتباره الرسالة المحمدية آخر الرسالات، فقد أعلن أن الله قد حل فيه، وأنه سيحل في آخرين من بعده، فلم يحتكر لنفسه حلول الألوهية.

(هـــ) وكان يذكر الحروف المجمعة. وما يحسب لكل حرف من أرقام. ويبني على جميع أرقام الحروف ادعاءات غريبة، وكان للأرقام تأثير في نظره ولرقم ١٩ بالذات مترلة خاصة عالية.

وقد ادعى أمورا عملية غيرت وبدلت في الأحكام الإسلامية والفرائض، ومن ذلك ما يأتي:

(أ) جعل المرأة في مرتبة الرجل تماما في الميراث وغيره، وبذلك أنكر بعض الأحكام القرآنية الصريحة التي يعد إنكارها كفرا.

(ب) دعا إلى المساواة المطلقة بين الناس وأن لا فرق بين جنس ودين ولون، وإن ذلك في جملته يتفق مع الحقائق الإسلامية.

٦- وقد أودع هذه الآراء كتابا كتبه وقد سماه البيان.

وإن هذه الآراء كما رأيت في جملتها انحراف عن الإسلام، بل إنكار لحقائقه وإحياء لفكرة الحلول التي ادعاها عبد الله بن سبأ لعلي بن أبي طالب وذلك كفر صريح، ولذلك تصدت لهم الدولة. فطاردت ميرزا علي وأتباعه، وشردهم، وأعدمت صاحب الدعوة سنة ١٨٥٠ فهو لم يعمر إلا ثلاثين سنة. ولكنه مات وكان قد اصطفى من مريديه اثنين هم صبح أزل، والثاني بهاء الله. وقد نفي كلاهما من فارس فاتخذ اولهما قبرص له مقاما واتخذ الثاني أدرنه. وأتباع الأول كانوا عددا قيلا. وأتباع الثاني كانوا الكثرة في هذا المذهب، ونسب المذهب إلى بهاء الله فقيل

البهائية وقد ينسب إلى الأصل فيقال البابية، وهو الإسم الذي اختاره صاحب هذه الدعوة، وإن أساس الاختلاف بين الرجلين هو أن الأول، وهو صبح أزل أراد أن تبقى البابية كما تركها صاحبها، ويقتصر على الدعوة إليها، أما الثاني فقد أعطى لنفسه ما كان قد أعطاه ميرزا على لنفسه، بل أكثر، فقرر حلول الإله فيه. وأنه المطهر الكامل. وأن أستاذه بشر به. وأن وجود ميرزا علي كان تمهيدا له. كما كان وجود يحيى تمهيدا لوجود المسيح في نظر النصارى، ويقول جولد سهير في كتابه العقيدة والشريعة: وفي شخص بهاء عادت الروح الإلهية للظهور لكي تنجز على الوجه الأكمل العمل الذي مهد له الداعية الذي بعث قبله، فبهاء الله أعظم من الباب لأن الباب هو القائم، والبهاء هو القيوم أي يظل ويبقى... وقد فضل بهاء أن يتسمى باسم مظهر، أو منظر الله الذي يجتلي في طلعته جمال الذات الإلهية، والذي يعكس محاسنها كصفحة المرآة، وهو نفسه جمال الله الذي يشرق ويتألق بين السموات والأرض كما يتألق الحجر الكريم المصقول، وبهاء الله هو الصورة المنبعثة الصادرة عن الجوهر، ومعرفة هذا الجوهر لا تتأتى إلا عن طريقه. وقد رأى فيه أتباعه أنه كان فوق البشر، وأضفوا عليه كثيرا من الصفات الإلهية[١]

٧- وإنه ما دام أساس الإتباع من هؤلاء المفتونين هو عبادة الأشخاص، فقد اختارت الكثرة منهم إتباع بهاء هذا ولقد اشتد النزاع بين بهاء وبين صبح أزل وكانا قريبين، فهذا في أدرنة وذاك في قبرص. فنفت الدولة العثمانية بهاء إلى عكا.

وفي عكا أخذ يدون مذهبه في الشرك، وفعارض القرآن، وعارض البيان الذي ألفه أستاذه، وأخذ يكتب الكتب بالعربية وبالفارسية، وأشهر ما كتب هو الكتاب الأقدس وقد زعم أن كل ما اشتمل عليه الكتاب موحى به، وأنه قديم بقدم الذات العلية، وأعلن أن كتبه كلها لا تمثل كل علمه الإلهي، بل هناك ما احتفظ به لصفوة

---

(١) العقيدة والشريعة ص ٢٤٤ ترجمة الأساتذة محمد يوسف موسى وعبد العزيز عبد الحق، وعلي حسن عبد العزيز

أصحابه، لأن غيرهم لا يطبق هذه العلوم الباطنية.

واعتبر ما يدعو إليه ديانة جديدة ليست هي الإسلام، وهنا يفترق عن أستاذه، فأستاذه كان يزعم أنه يجدد الإسلام بما انتحل من أفكار، وأنه لم يخرج عنه، ولكنه أصلح ما اشتمل عليه، والإسلام في نظره دين متجدد أما هذا الآخر، فقد أنصف الإسلام أكثر من صاحبه لأنه أعلن أن ما يدعو عليه ديانة جديدة ليست هي الإسلام، وبذلك طهر الإسلام من رجس أقواله وقد زعم أن ديانته عالمية، تجمع الأديان كلها، والأجناس كلها، وهي تدعو إلى محو الأقليمية والوطنية، فالأرض للجميع ووطن الجميع.

ولهذا المعنى العالمي في عقيدته، ولما اتخذه لنفسه من مظهر إلهي، أرسل كتبه إلى الحكام في مشارق الأرض ومغاربها، وقد ادعى في هذه الرسائل حلو الإله فيه، وكان ما يكتبه يسميه سورا، كما تسمى أجزاء القرآن سورا وادعى أنه يعلم الغيب وقد كان يعلن غيبيات تقع في المستقبل، ويصادف أن كان يصح بعضها فقال إن حكومة نابليون الثالث ستسقط، فسقطت بعد أربع سنوات، فكان هذا داعيا لأن يصدقه الكثيرون بسبب مبالغة أتباعه مع أنه لم يعين زمن السقوط، ولعل ذلك فراسة منه ما دام لم يعين، وهل صدق في كل نبوءة قالها؟ لم يدع أحد ذلك، حتى أشد أتباعه حماسة له.

وقد حث أتباعه على تعلم اللغات الأجنبية لتعم دعوته.

٨- وأهم ما دعا إليه «البهاء»

(أ) نبذ كل القيود الإسلامية. فأصبح بمقتضى هذا مذهبه غير مرتبط بالإسلام بأي نوع من أنواع الارتباط، وبهذا يفترق عن أستاذه ميرزا علي كما أشرنا، إذا اعتبر الشريعة قد انقضى عهدها.

(ب) أنه جعل المساواة بين البشر مهما اختلفت الألوان والأديان والأجناس لب تعاليمه، فكانت تلك المساواة هي القطب الذي تدور عليه دعايته. وكان ذلك

بلا ريب يجتذب الأنظار إليه في عالم فرقته العنصرية والطبقات والتعصب الديني.

(ج) عالج نظام الأسرة، وخالف المقررات الإسلامية فيها، فمنع تعدد الزوجات إلا في صور استثنائية، وفي هذه الصور الاستثنائية لا يبيح الجمع إلا بين اثنتين، ومنع الطلاق إلا في حال الضرورة التي لا يمكن أحد الزوجين فيها أن يعاشر الآخر. ولم يعتبر المطلقة ذات عدة تنتظر فيها فلا تتزوج بعد الطلاق. حتى تنتهي بل لها أن تتزوج.

(د) نسخت صلاة الجماعة نسخا مطلقا إلا في صلاة الجنائز، فالصلاة لا تكون إلا فرادى.

(هـ) ليست الكعبة هي القبلة التي ارتضاها لأصحابه، بل القبلة هي المكان الذي يقيم فيه البهاء، لأنه ما دام الإله يحل فيه، فالقبلة حيث يحل الإله، فإذا غير مكانه غير البهائيون قبلتهم تبعا له.

(و) أبقوا على الطهارة المعنوية والجثمانية التي أتى بها الإسلام، فأبقوا الوضوء للصلاة والغسل من الجنابة.

(ز) ألغى كل ما جاء في الإسلام من أحكام الحلال والحرام في البيوع والأطعمة وغيرها، وأحل العقل في الحكم محل الشرع الإسلامي.

ولو أدرك الحق لوجد أن كل ما أحله الإسلام يحله العقل، وكل ما حرمه الإسلام يحرمه العقل، ولفهم كلام الأعرابي الذي قيل له لم آمنت بمحمد فقال: ما رأيت محمدا يقول في أمر افعل، والعقل يقول لا تفعل، وما رأيت محمدا يقول في أمر لا تفعل والعقل يقول افعل، ولكنه يريد الهدم، والهدام سلاحه المعول فقط، والمعول يهدم كل شيء.

(ح) ومع أن «بهاء الله» هو وأستاذه من قبل يناديان بالمساواة المطلقة بين البشر، لا يقر هو الديمقراطية، فلا يبيح خلع الملك، ولعله رأى ذلك. لأنه لا يتفق مع مذهبه، إذ أن مذهبه يقوم على حلول الإله في الأشخاص، إذ قد حل فيه، فلابد

أن يفرض مع هذا أن يكون للأشخاص سلطة قدسية، وإن لم يحل فيهم الإله، فكان متسقا مع منطقه أن يفرض أن سلطان الملوك مقدس لا يمس أو يكاد يكون مقدسا.

وفي الوقت الذي يفرض في الملوك ذلك السلطان الذي يكاد يكون مقدسا ينكر أن يكون لعلماء الدين أي سلطة على النفوس، وإذا كان أستاذه قد حارب علماء الدين الذين ناوءوه وأبطلوا قوله، فقد حارب هو الكهنوتية كلها عن غير تخصيص بالإسلام «لأن دعواته تعم» فحارب كهنوتية اليهودية والنصرانية أيضا.

٩- ولقد انتهى عهد - بهاء الله - بموته في ١٦ مايو سنة ١٨٩٢، وقد خلفه في القيام على مذهبه ابنه عباس أفندي المسمى عبد البهاء أو غصن أعظم و لم يعارض في خلافته أحد لإخلاصهم لأبيه، وعباس هذا كان على إلمام كامل بالمدنية الأوربية والثقافة الغربية لذلك حور تعاليم أبيه بما يتقارب مع العقل الغربي، فأبعد منها فكرة الحلول الإلهي، و لم يدع خوارق تجري على يديه كما ادعى أبوه، ولأنه كان يميل كل الميل إلى الثقافة الغربية اتجه إلى الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى يدرسها. فإذا كان المعلم الأول لهذا المذهب قد خطا خطوة في هدم تعاليم الإسلام باسم تجديده فالذي وليه أتم ما بدأ بأن أنكر كل تعاليم الإسلام ونبذها، والذي أعقبهما خطا خطوة ثالثة - فلم يكتف بنبذ الإسلام بل اتجه إلى الكتب اليهودية والنصرانية يأخذ منها بدل أن يعتمد على القرآن أو يأخذ منه.

١٠- وإنه لهذا قد اتسعت الدعاية البهائية بين النصارى واليهود، والمجوس، وكثر الأتباع من أنصار هذه الديانات، وليأس عباس وأبيه قبله من أن يتبعهما كثيرون من المسلمين وجهوا وجهتهم شطر أهل الديانات الأخرى، ولذلك كثر أتباع هذا المذهب في النصارى واليهود والمجوس، حول فارس والبلاد التي تصاقبها وقد أسس بعض هؤلاء بناء لهم في بلاد التركستان يعقدون فيه اجتماعات، وكثر أتباع هذا المذهب في البلاد الأمريكية وأوربا، ويقول صاحب كتاب العقيدة والشريعة: «لقد وجد نبي عكا أي بهاء الله في أمريكا وفي أوربا كما يقولون من

يقبل على اعتناق ديانته في حماسة ولهفة حتى بين المسيحيين وأن ما أقيم لهم من المشروعات الأدبية قد ساعد البهائية على أن ترسخ قواعدها: فلها مجلة «نجم الغرب» التي تصدر في تسعة عشر عددا في السنة، وقد أنشئت سنة ١٩١٠[١] وجعلت أعدادها تسعة عشر عددا، لأنهم يعتقدون أن عدد -١٩- عدد شديد التأثير. إذ أن الأعداد لها قوة تأثيرية كما بينا في مذهب «ميرزا علي»

ويقول أيضا صاحب كتاب العقيدة والشريعة: «قد انتشرت البهائية في بقاع شاسعة من الولايات المتحدة، واتخذت مركزها في شيكاغو»[٢]

وقد أوغلوا في الدعوة إلى ديانتهم في المسيحية، وادعوا أن كتب العهد القديم والجديد بشرت بالبهاء وابنه ويقول في ذلك جولد سهير، قد تقدمت البهائية بظهور عباس أفندي خطوة أخرى في استعانتها بالتوراة والإنجيل فأسفارهما سبق أن بشرت بظهور عباس من قبل، وهو المقصود بالإمارة والألقاب الفاخرة العجيبة التي وردت في عدد -٦- من الإصحاح التاسع عشر من سفر أشعياء: «لأنه يولد لنا ولد، ويعطى أبنا، وتكون الرياسة على كتفه. ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إليها أبديا رئيس السلام»[٣]

١١- هذه هي البهائية كما بينت وأعلنت، ونرجو أن نكون قد صورناها كحقيقتها من غير تزيد عليها، ولا تحريف لها، فإن من رأينا أن نكتب المذهب كما يتصوره أهله أو المتحمسون له، وإن الأوربيين قد تحمسوا له لأن فيه هدما للديانة الإسلامية.

وإن هذا المذهب كما رأينا أوهام في أوهام، ولكنه راج بين الأمريكان والأوربيين. ونادر من المسلمين من ارتد عن دينه إليه ومع ذلك يدعي الأوربيون أن

---

(١) العقيدة والشريعة ص ٢٥٠

(٢) الكتاب المذكور

(٣) العقيدة والشريعة

أتباعه في المسلمين كثيرون «ولكنهم يتخذون التقية»، أي لا يظهرون بمذهبهم أمام الناس حتى لا يضطهدوا وهي دعوى لا دليل عليها لأنا لا نستطيع الكشف عن الضمائر. ولا هم أوتوا علم السرائر، ولعلهم فيما قالوه يعبرون عن أمانيهم لأن أمانيهم هي حل العقيدة الإسلامية وهدم تعاليم الإسلام بين أهله، ولكن أنى لهم ذلك وهو دين الحقيقة الخالد إلى يوم القيامة، وليموتوا بغيظهم.

١٢- وإنه مما يذكر في هذا المقام أن القضاء الإداري المصري قد قرر أن هذه البهائية ليست ديانة سماوية. بل ليست ديانة مطلقا وإنما هي آراء قصد بها هدم الإسلام، ونشر الفوضى والإلحاد بين المسلمين. ولذلك قد جاء في فتوى لمجلس الدولة بشأن توثيق عقود زواج لثلاثة بهائيين، بعد الاطلاع على المادة الأولى من القانون الخاص بالجمعيات الخيرية، والمؤسسات الاجتماعية وبعد أن تبين أن تعاليم الطائفة البهائية، كما هو ظاهر من كتبها وما سبق أن استظهرته محكمة القضاء الإداري بمجلس الدولة في حكم سابق من أنها ترمي إلى بث عقائد فاسدة تناقض أصول الدين الإسلامي وعقائده وتنتهي إلى تشكيك المسلمين في آيات كتبهم ونبيهم بل إنها تخالف الأديان السماوية ومن حيث أن محاولة نشر هذه العقائد الفاسدة وإذاعة كتبها وتعاليمها في بلد دينه الرسمي الإسلام. وما يترتب على ذلك من تكدير للسلم العام وإثارة الخواطر وإهاجة الشعور. لما يؤدي إليه فعلا من تعرض للأديان القائمة، وإثارة للمؤمنين به مما يدفع أغراض هذه المؤسسة بعد مشروعيتها ومخالفتها للنظام والأمن العام، واستنادا إلى ما بينته وزارة الداخلية من أنها لا تعترف بالطوائف المذكورة كطائفة دينية - من كل ما تقدم ترى إدارة الفتوى والتشريع بمجلس الدولة أن ذلك يبعد بالعقد المراد بوثيقة عن الصحة، ويدمغه بالباطل لمخالفة أغراض هذه المؤسسة للنظام القائم بمصر.

والأصل في هذه الفتوى كما يبدو من عبارتها أن محاميا تقدم بطلب توثيق عقود زواج نصوا فيها على أن ديانتهم البهائية. فامتنع الموثق ليعلم هل لهذه الطائفة

وجود، وهل لها نظام للأحوال الشخصية معترف به قانونا من الدولة، فأجابت وزارة الداخلية بالسلب، وقامت مصلحة التوثيق ببحث حال هؤلاء، فانتهت إلى أن البهائية مذهب هدام وخصوصا للإسلام، وليست بدين معترف به من الدولة، وأنها لا تصلح أن تكون ديانة، ولذا لا تظفر بالحماية، ولا يمكن مصلحة التوثيق أن توثق إلا إذا كان للبهائية صبغة طائفية تسوغ التوثيق. وقد أشارت مصلحة التوثيق إلى أن توثيق الطوائف التي ليس لها مجالس ملية بالنسبة لعقود الزواج كان أمام المحاكم الشرعية، ومصلحة التوثيق قائمة مقام المحاكم الملغاة في ذلك، وقد تولت اختصاصها الذي ما زال قائما متميزا.

ولكن بعد أن دمغوا بهذا تقدموا باعتبار أنهم جمعية خيرية روحية وطالبوا بتطبيق قانون المؤسسات، وقد كانت الفتوى دامغة هذا أيضا.

١٣- والحق أن البهائية يشتد نشاطها في الديار الإسلامية في عهود الدعوات الانحلالية التي يغذيها أعداء هذا الدين، فقويت عقب الحرب العالمية الأولى، وقويت عقب الحرب العالمية الثانية. وهي الآن ترفع رأسها. ولا بد من قطعه، أو عودته إلى شيكاغو موطن دعايته.

فهرست

دُعَاءُ التَّوْحيد

يَا اَللهُ يَا اَللهُ لاَ اِلَهَ الاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ يَا عَفُوٌّ يَا كَرِيمُ فَاعْفُ عَنِّي وَارْحَمْنِي يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَاَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلآبَائِي وَأُمَّهَاتِي وَلآبَاءِ وَاُمَّهَاتِ زَوْجَتِي وَلأَجْدَادِي وَجَدَّاتِي وَلأَبْنَائِي وَبَنَاتِي وَلإِخْوَتِي وَأَخَوَاتِي وَلأَعْمَامِي وَعَمَّاتِي وَلأَخْوَالِي وَخَالاَتِي وَلأُسْتَاذِي عَبْدِ اْلحَكِيمِ اْلآرْوَاسِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ اَلاَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَاْلاَمْوَاتِ «رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ» بِرَحْمَتِكَ يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَاْلحَمْدُ للهِ رَبِّ اْلعَالَمِينَ

دُعَاءُ اْلاسْتِغْفَار

اَسْتَغْفِرُ اللهَ اْلعَظِيمَ الَّذِي لاَ اِلَهَ إِلاَّ هُوَ اْلحَيَّ الْقَيُّومَ وأَتُوبُ إِلَيْهِ

إن ناشر كتب – **دار الحقيقة للنشر والطباعة** – هو المرحوم حسين حلمي ايشيق عليه الرحمة والرضوان المتولد عام ١٣٢٩ هـــ * ١٩١١ م) بمنطقة –**أيوب سلطان إستانبول**– وأعداد الكتب التي نشرها ثلاث وستون مصنفا من العربية وأربع وعشرون مصنفا من الفارسية وثلاث مصنفات أوردية وأربع عشرة من التركية ومقدار الكتب التي أمر بترجمتها من هذه الكتب إلى لغات فرنسية وألمانية وإنجليزية وروسية وإلى لغات أخر بلغت مائة وتسعة وأربعين كتابا وجميع هذه الكتب طبعت في –**دار الحقيقة للنشر والطباعة**– وكان المرحوم عالما طاهرا تقيا صالحا وتابعا لمشيئة الله وقد تتلمذ للعلاّمة الحبر البحر الفهامة الولي الكامل المكمل ذي المعارف والخوارق والكرامات عالي النسب السيد عبد الحكيم الارواسي عليه رحمة الباري وأخذ منه وظهر كعالم إسلامي فاضل وكامل مكمل وقد لبى نداء ربه المتعال وتوفي ليلة ٢٥ على ٢٠٠١/١٠/٢٦ (الثامن على التاسع من شهر شعبان المعظم سنة إثنتين وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية) ودفن في محل ولادته بمقبرة أيوب سلطان تغمده الله برحمته الواسعة واسكنه فسيح جناته آمين

اسماء الكتب العربية التي نشرتها مكتبة الحقيقة

اسماء الكتب | **عدد صفحاتها**

اسماء الكتب	عدد صفحاتها

اسماء الكتب	عدد صفحاتها

اسماء الكتب الفارسية التي نشرتها مكتبة الحقيقة

اسماء الكتب	عدد صفحاتها
١ - مكتوبات امام رباني (دفتر اول)	٦٧٢
٢ - مكتوبات امام رباني (دفتر دوم و سوم)	٦٠٨
٣ - منتخبات از مكتوبات امام رباني	٤١٦
٤ - منتخبات ازمكتوبات معصومية ويليه مسلك مجدد الف ثاني (با ترجمه اردو)	٤٣٢
٥ - مبدأ و معاد و يليه تأييد اهل سنت (امام رباني)	١٥٦
٦ - كيمياي سعادت (امام غزالي)	٦٨٨
٧ - رياض الناصحين	٣٨٤
٨ - مكاتيب شريفه (حضرت عبدالله دهلوى) ويليه المجد التالد ويليهما نامهاى خالد بغدادى	٢٨٨
٩ - در المعارف (ملفوظات حضرت عبد اللّٰه دهلوي)	١٦٠
١٠ - رد وهابي و يليه سيف الابرار المسلول على الفجار	١٤٤
١١ - الاصول الاربعة في ترديد الوهابية	١٢٨
١٢ - زبدة المقامات (بركات احمدية)	٤٢٤
١٣ - مفتاح النجاة لاحمد نامقي جامي ويليه نصايح عبد الله انصاري	١٢٨
١٤ - ميزان الموازين في امر الدين (در رد نصارى)	٣٠٤
١٥ - مقامات مظهرية و يليه هو الغني	٢٠٨
١٦ - مناهج العباد الى المعاد و يليه عمدة الاسلام	٣٢٠
١٧ - تحفه اثنى عشريه (عبد العزيز دهلوي)	٨١٦
١٨ - المعتمد في المعتقد (رساله توربشتي)	٢٨٨
١٩ - حقوق الاسلام ويليه مالابدّ منه ويليهما تذكرة الموتى والقبور	٢٧٢
٢٠ - مسموعات قاضى محمد زاهد از حضرت عبيد الله احرار	١٩٢
٢١ - ترغيب الصلاة	٢٨٨
٢٢ - أنيس الطالبين و عدّة السالكين	٢٠٨
٢٣ - شواهد النبوة	٣٠٤
٢٤ - عمدة المقامات	٤٩٦

الكتب العربية مع الاردوية و الفارسية مع الاردوية و الاردية

١ - المدارج السنية في الرد على الوهابية ويليه العقائد الصحيحة فى ترديد الوهابية النجدية	١٩٢
٢ - عقائد نظاميه (فارسي مع اردو) مع شرح قصيدة بدء الامالي ويليه احكام سماع از كيمياي سعادت ويليهما ذكر ائمه از تذكرة الاولياء ويليهما مناقب ائمهٔ اربعه	١٦٠
٣ - الخيرات الحسان (اردو) (احمد ابن حجر مكي)	٢٢٤